مغامرة.. في شارع يافا

مجموعة قصصية

اسم الكتاب: مغامرة.. في شارع يافا
اسم المؤلف: بهائي راغب شراب
التصنيف: مجموعة قصصية
الحجم: 14 - 20
عدد الصفحات: 106
سنة الإصدر: 2024
رقم الإيداع: 28654 / 2024
الترقيم الدولي: 978 - 977 – 971 – 043 – 3
تدقيق لغوي: بهائي راغب شراب
تصميم غلاف: سارة أحمد
تنسيق وإخراج: فريق ديوان العرب

الناشر
ديوان العرب للنشر والتوزيع

إميلات الدار
dewanalarabegypt@gmail.com
dewanelarab1978@gmail.com

مغامرة.. في شارع يافا

مجموعة قصصية

بهائي راغب شراب

دار ديوان العرب للنشر والتوزيع
حقوق حلمك

حقوق الطبع والنشر لهذا المصنف محفوظة للمؤلف،
ولا يجوز بأي صورة إعادة النشر الكلي أو الجزئي،
أو نسخه أو تصويره أو ترجمته أو الاقتباس منه،
أو تحويله رقمياً وإتاحته عبر شبكة الإنترنت،
إلا بإذن كتابي مسبق من المؤلف أو الناشر.

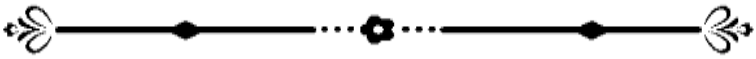

إهداء

إلى أهل غزة شمالها وجنوبها، غربها ووسطها،

أحياؤها وشهداؤها

بصمودكم وتضحياتكم العظيمة نقترب من لحظة النصر العظيم

ستظلون أنتم الأمل وشعلة الحرية في زمن الانحدار العربي

فكونوا لنكون

بهائي راغب شراب

****

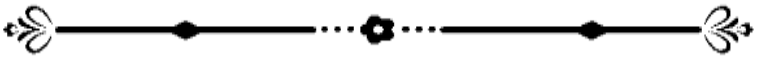

مغامرة في شارع يافا[1]

2009/12/7

كنا ثلاثة أشخاص

"هو"

و"أنا"

و"هو الآخر".

.....

"هو" كان أكبرنا

دعانا لجولة في شارع يافا الكبير في مدينة القدس

وافقنا فورا ..

فليس أجمل من السير في شوارع المدينة الأسيرة ..

.....

طويل شارع يافا

يسكنه اليهود ..

[1] شارع يافا: شارع يافا هو واحد من أطول وأقدم الشوارع في القدس. فإنه يعبر المدينة من الشرق إلى الغرب، من جدران المدينة القديمة لمدينة القدس، والمدخل الغربي من القدس وعلى الطريق السريع بين القدس و تل أبيب. تصطف على جانبية المحلات التجارية والشركات والمطاعم.

أبراج، مطاعم، أسواق، مكاتب، مؤسسات، حدائق، ...
ومدارس دينية في الليل تمارس طقوس التعبد والجريمة،
و..
تُعَلِّمَ الأطفالَ كيف يقتلوننا .. ببرود .

.....

مشينا ومشينا، لم نشعر بأنفسنا ..
فجأة وقفنا أمام عمارة "شالوم "
مدخلها واسع جدا
مسكونة باليهود
الداخلون والخارجون .. يهود
لماذا نحن هنا ؟
لماذا توقفنا .. ؟
لماذا ؟
سألت .. ولا جواب ..!

.....

"هو .."
استأذن منا للدخول قليلا
لديه موعد عمل مهم مع صاحب العمل،
لم نمانع

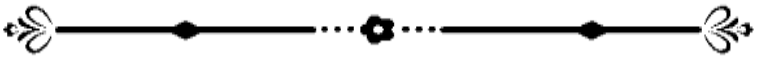

دخل ..

لم اعرف إلي أين ..ولا ماذا يريد هناك

اختفى فيها ..

وعندما تأخر ..

تململت ..

وسألت "هو الآخر" ..

أين "هو" ؟

قال بتعجب: ألا تعرف ؟!

أجبت: لا

أتعلم أنت ؟!

قال: دخل ليضاجع يهودية

لكنه تحدث عن موعد ..

قال غامزا: هي الموعد المقصود ؟!!

.....

صعقت..

ماذا تقول كان فدائيا في الكرامة، كان يجتاز الحدود،

كان يضرب ويتصيد اليهود

ابتسم " هو الآخر"

لعلك لم تعرف بقية الحكاية ..

لا أريد حكاية ..أحتاج أن أغادر المكان ..

هل تصحبني

أجاب: لا سأنتظره ..

قلت: بعد الذي فعل بنا ..؟

قال: دعنا نر لماذا فعل ذلك ؟

قلت ..: لا .. فلن احتاج لجوابه ..

سأذهب وحدي إذن ..

.....

أدرت ظهري عائدا من حيث أتيت

"هو" كان دليلنا، نادى "هو الآخر"

قلت: لا يهمني، لن انتظره أبدا، لن أسمح بان يلوثنا معه

حاول " هو الآخر" منعي

صممت..

ومضيت فوق الطريق

.....

انتابني بعض الخوف

أنا لا أعرف تفاصيل المكان

لقد صار غريبا عني

أنفاسه النتنة أصابت انفي بالزكام،

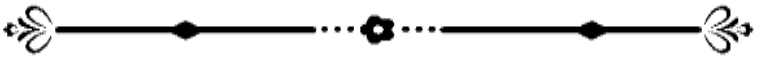

أضواء مصابيحه .. شوهت الرؤية الصافية لعيني

و... لقد ... تهت ..

.....

دخلت شوارع كثيرة ..

تجولت أكثر ..بحرية تامة

كنت وحدي ..

وبثقة سرت مطمئنا استكشف الطريق

من بعيد رأيته مشعا بالبهاء

من بعيد ناداني للاقتراب

من بعيد اتخذ الأقصى شكله ..كجوهرة السماء

.....

حددت بوصلتي

ولبيت النداء ..

ومضيت رافعا راسي بعز وإباء

وكنت وحدي أسير

لم ألتفت أبدا للوراء

ووصلت إلى باب العمود

وما أجمل اللقاء .

.....

كنت وحدي
وعقارب الساعة تشير إلى منتصف الليل
والشوارع فارغة
أسرعت لموقف السيارات ..
استجدي سيارة مغادرة
تنقذني من لعنة " هو " ...الحيوان
.....
كانت السيارة الأخيرة لهذا المساء
وكنت الراكب الأخير ..
وعدت إلى البيت ..
كانت أمي واقفة على الباب
عندما وصلت وحدي
سألتني ؟: أين الآخران ؟
هززت رأسي باشمئزاز
سَكَتَتْ ؟؟
وقالت: أَلَمْ أَقُلْ لك
أنت لا تعرفهم ..
لقد جُبِلوا هناك .

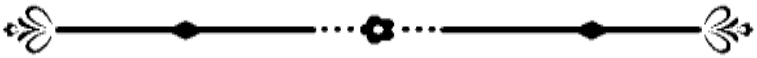

مواطن بسيط

2009/11/19

مْسَلَّمْ ابن سالم المْسَلَّمْ ..

مواطن بسيط، من النوع الذي عندما تراه لأول مرة يرتاح قلبك له، وتميل إليه حناياك تلقائيا، في ملامحه رجولة عصية وقوية .. تحسبه من الحزم الذي يمارسه في تعامله مع الأمور انه من القساة القلوب، وهو ما يتبدد عند أول تلامس معه في الحديث وفي المشاركة..

عندما يتكلم .. تخرج حروفه واضحة، وجمله.. تأتي مفعمة بالمعاني الجدية النافعة الخيِّرة، لا يقول أي كلام، ولا يتكلم لمجرد أن يتلكم، أو ليثبت انه موجود، قناعته عن نفسه إنه حي يرزق برزق الله، وفي داخله انه المواطن مسلم بن سالم المسلم .. وليس أحدا آخر، هو لن يكون غيره، وأبدا يرفض أن يتغير ولو من ظاهره ليرضي هذا أو يغضب ذاك، .. ما دام متأكدا انه في جانب العدل يقف، وفوق طريق العزة والأخلاق يسير .

مبدأه من نوع السهل الممتنع .. مبدأ الحق الصريح، الذي تنفتح أمامه القلوب، وتنجذب إليه الأرواح، مبدأ الحب والوفاء والثبات الصادق، لا يحب المداورة ولا الرياء، ويكره شيئا له علاقة بالكذب أو بالنفاق، فهو

يؤمن أن الإنسان المنافق ضعيف، جبان، مخادع، شرير، شجع، يكره التنافس الشريف، ويفر من المدافعة الواجبة في بذل الجهد والعطاء عندما يتوجب فعل ذلك، وإلا فلماذا ينافق، ولأي سبب يرائي، وكيف لا يتحمل المزاحمة، ولم يود الاستفراد بالشيء لنفسه دون الآخرين،

مسلم بن سالم المسلم أيضا وطني غيور .. يحب وطنه، ويخلص له، ويضحي في سبيله، لم يتأخر يوما عن تلبية نداء الواجب، ولم يهرب من مواجهة الموت إذا كانت تعني حياة وطنه، تراه ينخرط بالناس، يملأه إحساس بالزهو انه منهم، جزء أصيل فيه، يعاني مثلهم، ويفرح مثلهم، يغضبه ما يغضبهم، ويسره ما يسرهم، وفي ساعات البذل تجده في الصف الأول دائما، لا يخور ولا يضعف، يعطي المثال للمواطن الصالح لبلده، ويقدم القدوة الحية لأهله في لذة التضحية والمجاهدة لرفعة بلدة، ولحماية حدوده وحقوقه ..

ودائما هو ضد الظلم ... ظلم الحكام وظلم الغزاة، وما أكثر ما عانى بسبب ذلك ... موقفه هذا أدى به إلى المعتقلات والزنازين حيث التعذيب والعزل والألم، حيث شعور الذل والمهانة التي تخترق حواجز النفس فتكيد لها، أمام ظلم الحاكم المستبد، الذي يريد أن يضيع حقوق الناس، كما ضيع حدود البلاد .. لأجل ذلك هو مطارد من قبل أجهزة الأمن ذات الخبرة

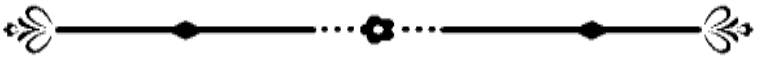

العريقة في ملاحقة المجاهدين والشرفاء الذين تمسكوا بمواقف العز والكبرياء في مواجهة الأعداء جنبا إلى جانب في مقارعة الظالمين الذي يتوددون للغزاة ويدلونهم إلى مكامن السيطرة على الشعوب والثروات .

وهو مواطن كأي مواطن آخر ينتمي لجماعته، بتواضع وتذلل المتمكن .. الواثق من حسن سلوكه، المدرك لدوره بينهم في السعي للارتقاء بمعارفهم ومحاسنهم وبناء دار المستقبل التي يتمتعون فيها بالحرية والاحترام والمساواة، والتي يتبادلون فيها الحب والإخلاص ... وكمواطن حقيقي يمنح ولاءه لله ولأولياء الله ولأنبياء الله وخلفاء الله .. وللمجاهدين الذين يدافعون عن بذرة الإيمان النابضة في الصدور تنتظر لحظة الإنبات، لتنطلق فوق الأرض تبث رحيق التقوى في مجامع الرجال المؤمنين، وعبير الاستشهاد في سبيل إعلاء كلمة الله العليا ومن أجل تحرير الوطن الغالي الذي يحاصره الأعداء من كل صنف، من جميع الجهات،

لله دره .. إذ يتذكر والده الشهيد ... وهو يبث آخر الكلمات إلى أمه الجبل الوحيد الذي آواه في أحضانه، وحماه من أحاسيس الغدر اللئيم الذي يتعرض له الأيتام في ابتداء يتمهم الحزين، قال لها .. ولم يكن قولا جديدا عليه، لكن أهميته تنبع من كونه آخر القول الكريم الذي يرسله عبر رطب حديثه المستعجل للرحيل ..

قال لها :: أنت الجبل يا أم مسلم ... أنت من بعدي الرجل الأول، أنت من سيتولى استكمال رسالتنا .. وستربين بإذن الله ولدنا مسلم ..

رَبِيهِ على أَنّي أبوه لَمْ أَخْذُلُ الله في موقفٍ يتوجب علَيَ أن أنصره،

أنني أبوه لم اخذل فلسطين في موقف يحتاج للتضحية والفداء،

أنني أبوه لم أَخْشَ يوماً الموتَ ما دام موتي يُوَلِدَ الحياة ..

مُسَلَمٌ وَلَدُنا، حياتي القادمة .. مَنْ سَيُكْمِلَ المشوار ومن سيحمل السيف، ومن سيضرب الأعداء في نحورهم، ومن سيواجه الظالمين أياً كان نوعهم أو مراكزهم ..

عَلِّميهِ .. أن يكون مسلم ابن سالم المسلم، وألا يكون أحدا آخر غيره .. ألا يكون أحدا آخر غيره .. وانتهي قول أبيه ..

يتذكر مسلم هذا الحديث ... ويتذكر كيف حفظ الدرس الأول الصادق في حياته، الدرس الذي كلفه والده الحبيب ..

لكي نتعلم يجب أن نفقد شيئا، لكي نكبر يجب أن نخلع ملابسنا الصغيرة، لكي نبني يجب أن نقطع الأحجار ونصب القواعد ونرفع البنيان وان نسكنه كبارا ..

ولكي نصل إلى أهدافنا .. فلنتخيل مستقبلنا الآتي، ولنرسم الخطط الوافية التي تعبد لنا الدرب إليه،

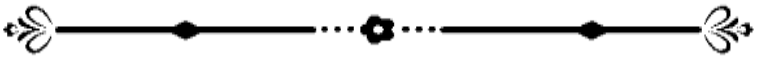

ومازال مسلم بن سالم المسلم يتذكر .. عندما أعتقل لأول مرة ... كان يجري مسرعا.. لينذر إخوانه بقدوم جنود الاحتلال لاعتقالهم ... كان يجري عندما امسكه الجنود بعد نجاة الآخرين .. نكلوا به بأخمص البنادق وبالبصاطير والركلات الحاقدة.. غضبا عليه.. لأنه كان عزيزا وخيب مبتغاهم الدنيء.. ضربوه كثيرا .. لأنه لم يصرخ منذ بدءوا حفل الضرب ..

كانت هذه المواجهة الأولى بينه وبين العدو ... وهنا انطلق مارده المخبأ فيه، منذ تلك اللحظة قرر أن يكون قائدا لنفسه رائدا في المقاومة والجهاد، وقرر أن يجعل من راية الله لواء يمضي تحت ظله في معركته لطرد الغزاة ..

فجأة بدأت عضلات وجهه في التقلص، ولوَّن الحزنُ الغاضب وجهه.. إذ يرى وهو غير مصدق ما يحدث للمبادئ والمواقف، وللأخلاق والقيم.. إذ يداس عليها، وإذ تتعرض لأقسى برنامج ممنهج لمسح معاني الوجود الفلسطيني فوق فلسطين في المقاومة والجهاد، والثبات على المبادئ والحقوق والوقوف صفا واحدا لمقاتلة اليهود الجبناء الطغاة القتلة المخربين.. الإرهابيين الذين ينشرون الرعب بين أطفال فلسطين وهم آمنون يلعبون أو نائمون .. لا يصدق ما يجري .. لأنه من اللامعقول، من المستغرب فعلا وقولا، ومن المستنكر جرما وخسة ..، لا يصدق أن من يقوم بكل ذلك أخوة من جماعته ومن أهله ومن شعبه .. يتميزون بالقيادة ..

اشتهروا بين الناس بأنهم أساتذة في النضال، وأنهم أول الرصاص، وأنهم المشروع الوطني لتحرير فلسطين .. لا يصدق .. ولن يصدق ... كيف خدعوه طوال السنين، كان معهم دائما، في نفس الموقع وفي أول الانطلاقة، وعند الزحف في كل حالة كان معهم يسير ويمضي، شاركوه المقاومة، وفرح معهم لنجاح العمليات الفدائية، شاركوه أحلامه في وجوب التحرير لفلسطين كل فلسطين .. كيف انقلبوا .. ومتى .. ولم .. على كل شيء حتى على إخوانهم وأصدقائهم وأحبائهم .. انقلبوا على أنفسهم فلبسوا وجوها غير وجوهم ..وانحرفوا عن درب العودة، أضحت ملامحهم مستهجنة وحشية مفترسة تكاد تلتهم كل شيء يقف في طريقهم .. يحاول أن يبصرهم أو ينصحهم ... أو يكشفهم ...

يا للهول ... يا الله .. كيف تكون الحياة .. الانتصار، و ..

و .. يواصل مسلم المشي فوق الطريق .. مسلما روحه لبعض ذكرياته .. كيف ولدت القوة فيه، وكيف جعل منها مشروعا لبناء الخير، ونشر الاطمئنان على أهله ومحبيه، وكيف سخرها لتنال من عدوه الوحيد، عدو شعبه وعدو أرضه.. اليهود الغاصبين، المدعومين بالشيطان اللعين، الذي وجهه أمريكيا، وعيونه بلاد المستعمرين الأوروبيين، وقلبه الكيان الصهيوني العابر متطفلا علينا وأدواته .. حكامنا المستهترين ... عندما غفلنا عن رفع راية الجهاد وارتضينا السكون أمام الرياح والأعاصير

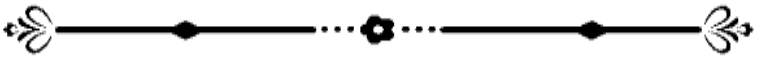

مستسلمين .. فخذلنا اللّهَ ورسولَه وابتعدنا عن دينه، وملنا عن الهدى المستقيم ..

.....

وكان مازال يستدعي ذكرياته .. عندما أعاده صوت قبيح، مع حركات للأيدي كثيرة تحوطه وتحاول تقييده ..

مسلم: من انتم ؟ ... ماذا تفعلون ؟ ابتعدوا أيها اللصوص ..

نحن الفلسطينيون الجدد .. ألا تعرفنا أيها الرجل الوحيد ..

مسلم: الفلسطينيون الجدد .. خسئتم بل التائهون الخائنون ..

الفلسطيني الجديد: اثبت مكانك يا مسلم ..

لا تتحرك ... وارفع يديك عاليا ... ضعهما خلف أذنيك ....

قد كشفنا ما تفكر فيه .. وعرفنا استدعائك لذكريات البطولة والحنين ..

قد خالفت بذلك قانون الاحتلال، وأصدر دايتون جنرال الجيش الفلسطيني الجديد الأمر باعتقالك ..

وها نحن نعتقلك .. ونقيدك بالحديد .. وندخل رأسك في كيس الرقيق ...

صه . اسكت . . لا تتكلم .. امض معنا مطأطئاً ..

مسلم: إلى أين ستأخذونني .. دعوني فوق دربي أسير ..

الفلسطيني الجديد: سنستضيفك عندنا .. وسنخصص لك أجمل زنزانة بنيناها حديثا للمارقين

.....

مسلم: ماذا تفعلون أيها الجهلة الخائبين ..
كنت أحميكم .. طرقتم بابي دائما تطلبون حمايتي ...والآن ..
تردون الجميل بإسكات الصهيل ....
كنت قائدكم النبيل .. وخليلكم الأثير .. صدور بيوتكم اجلس فيها
.....
والآن .. غيرتم بيتكم .. بعد أن غيرتم عنوانكم ..
الفلسطيني دائما يظل الفلسطيني الأصيل .. ليس هناك ما يسمى بالجديد .. أي جديد .. وهل يولد الإنسان جديدا .. بفعلكم هذا لن تظلوا فلسطينيين .. انتم تخرجون من ثوبكم الوحيد الذي يستركم من عار المنهزمين ..

الفلسطيني الجديد: أصمت أيها الرجل القديم .. ليس لك حق الكلام .. ولا العتاب ولا التأنيب ..

.....

مسلم: لن أسكت .. سأحكي الحكاية للجميع ...
أيها الناس ... المُدْبِرون ..
يولد الإنسان فلسطينيا .. فطرته مقاومة الغزاة الغاصبين ..
يولد الإنسان فلسطينيا يجاهد المعتدين ...
يولد الفلسطيني فداء للفلسطينيين ..

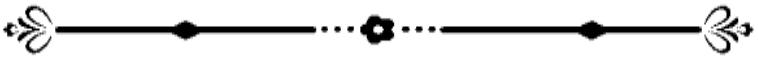

ماذا جرى لكم أيها الغائبون .. عودوا مسرعين قبل فوات الوقت .. وقبل انقطاع الطريق

هل غيرتم اسمكم .. بئس ما فعلتم .. ستتيهون وتندمون .. وستخسرون كل شيء ..

انتم الآن تخسرون .. فقدتم الحقيقة الوحيدة التي بها تسعون أحياء فوق الطريق ... التي بها احتضنكم الشعب عندما كنتم له عنوانا للتمسك بالحقوق وللثبات على خيار مقاومة الأعداء طوال السنين ..

الفلسطيني الجديد: أسكت أيها الضمير .. لن نسمع لك صوتا بعد اليوم .. هكذا علمنا قائدنا.. أن لا نسمع صوت الضمير .. فقط نسمع صوت الرنين.. رنين المال الذي نقبضه أكثر من الآخرين ..

مسلم: لن أصمت بعد اليوم أيها الغافلين ..

لقد ألقيتم السلاح .. ألقوه وحدكم .. ودعوا غيركم يمضي على النهج القويم ..

دعوا المقاتلين المؤمنين يقاتلون، ولا تفرضوا عليهم كابوسكم الهزيل ..

ستندمون وسأخرج من زنازينكم وضاء الجبين ..

أيها المنطفئين ...

سجنكم يحبسكم .. لا يحبسنا

انتم لا روح لكم .. لا تعيشون ولا تشعرون، لا تحزنون ولا تفرحون .. فقط كالبهائم تأكلون . . يوم ذبحكم اقترب ..

الفلسطيني الجديد: اصمت أيها المجنون ..

مسلم: لن أفعل مهما تفعلون .. فروحنا باقية .. تقيم في أعشاش الطيور، وفي أكواخ المساكين، وفي خيام اللاجئين والبيوت .. في الفضاء والأراضين .. وفي عيون الأطفال وفي قلوب الصبايا الحور ..

باقون نحن ..

وسيرحل الغاصبون .. وتذهبون .

وتذهبون ....

وتذهبون ...

****

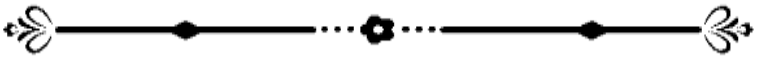

شياطين وملائكة

2011/7/20

بعد خُلْوَةٍ طويلةٍ مع الشيطان، استمرت عددا من السنين العجاف، خرج السيّدُ إلى أولاده من قاع الحلكة المرعبة، جمعهم...

وقال: يا أولادي ماذا ترون فيّ؟

قالوا: سيدنا وسيدنا وسيدنا

قال: بوركتم ببركتي .. ألست بزوج أمكم

قالوا: نعم

قال: بوركتم ببركتي، ألست بمطعمكم وملبسكم

قالوا: بلى

قال: بوركتم ببركتي، ألست الحاكم الآمر في هذا البيت

قالوا: بلى

قال: بوركتم ببركتي، ألست... وألست ... وألست ... كل شيئ أنا هنا

قالوا: بلى، أنت سيدنا وسيدنا وسيدنا، وأنت زوج أمنا

قال: بوركتم ببركتي ... ببركتي .. ببركتي .. بوركتم ووالدتكم الغائبة

قالوا: سيدنا يباركنا .. لا أحد مثلنا، لا أحد له سيد كسيدنا .. لا أحد سعيد مثل سعادتنا بسيدنا

قال: والآن أقول لكم

قالوا: سيدنا سيقول .. سيدنا سيقول .. السمع والطاعة لسيدنا

قال: اسمعوا

قالوا: سمعنا وأطعنا

قال: لا أريكم إلا ما أرى

تجرأ ولد: هذا أعظم قول سمعته في حياتي

تجرأ آخر: هذا أحكم كلام سمعته في عمري

تجرأ آخر: القول ما قال سيدنا

تجرأ آخر: وهل نعلم مثل سيدنا،

تجرأ آخر وآخر وآخر وآخرون ..: نحن لسدينا مُطْيةً، نحن لسيدنا جحوشاً وبغالاً، نحن بيد سيدنا سياطا، نحن بيد سيدنا أغلالا، نحن.. نحن.. نحن.. له كما يشاء

نحن لسيدنا نركع .. نحن لسيدنا نسجد

.....

من وسط الجحوش والسياط والأغلال والعبيد، نما إلى سمع السيد صوت مختلف، هادئ، واثق، متماسك، واضح، قوي، ..

يقول: يا سيدنا .. إنك أعمى

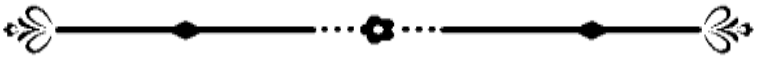

غضب السيد: ماذا تهرف، كيف تتجرأ .. من أين هذا الصوت المنكر ..
قال الصوت: إنك أعمى، وكنت كذلك قبل زواجك من أمنا، وبقيت كذلك بعد زواجك منها..
غضب وثار السيد أكثر: ماذا تَتَقَوَّل .. يبدوا أنك لم تسمع قول إخوانك قبلك، لست سوى جاهل تجهل ..
قال الصوت: أخبرني وأخبر إخواني .. ما لون عيني أمنا، ما لون شعر أمنا، ما لون بشرة أمنا،
وقال الصوت: ولماذا لم تنجب أمي منك ولداً ؟ رغم أنك سيدنا ..
قال الصوت: لماذا أمنا تكرهك، وتغتسل بدموع الندم كي تتطهر من إثم زواجها منك ..
ظل الصوت يتابع: وهل تظل السيد لو ماتت أمنا، هل تظل السيد لو ماتت أمنا
ارتج السيد، هدر السيد، صرخ السيد، قال السيد للأولاد: هذا ليس أخيكم، دخيل يبغي تفريقا لوحدتكم، جاهل لا يعرف قيمة سيدكم،..
ارتفع صوت آخر: لكنك لم تعط أجوبة
وارتفع صوت آخر: لم نعرف أنك أعمى، لم تخبرنا.. أنك لست ترانا، ولم تر يوما أمنا ..
قال السيد مرتجا: أنتم نور عيوني

رد عليه صوت: بل كنا سلاحك الملعون

قال السيد: كنتم حبي، في قلبي سكنتم، أضعت من أجل حمايتكم عمري

رد صوت هادر: لم يضع عمرك، نحن من ضاعت أعمارهم .. من قيدتهم .. من استعبدتهم .. من أذللت أمهم ..

قال السيد وهو يتراجع للخلف: أمكم مازالت باقية .. حية .. تتنفس مما أتنفس.. تشرب مما أشرب، تأكل مما آكل ..

قال صوت: كذاب أشر، بل تدنسها، تحبسها، تجوعها، تضعفها حتى لا تقوى عليك فتطردك من مجلسها ..

الصوت الأول الهادئ الواثق المتماسك: أسمعت ... هذا مصداق كلامي ... أعمى أنت.. عيناك مفتوحة للشر، لا تر خيراً فينا، لا تر خيراً في أمنا، نظراتك تختلف عن نظرات عيوننا، أنت مختلف عنا، لم تك يوماً منا، لم تشعر بمشاعرنا، لم تفرح، لم تحزن، لم تشاركنا يوماً لحظة حية من لحظات حياتنا ..

قال السيد بخوف: كنت أتدبر تسيير أموركم، كنت أبحث ما أطعمكم وأسقيكم، كنت أدربكم كيف تكونوا كتيبة موت لأعاديكم ..

قال صوت: لكننا أبدا لم نشبع من طعامك الشحيح، ولم نرتو من مائك الملوث، وبيوتنا ظلت مستباحة لأعدائنا .. ولجنودك..

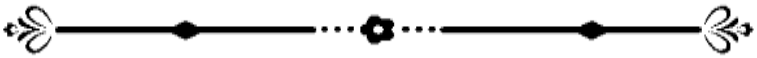

قال الصوت الأول الهادئ الواثق المتماسك: وكنا نراك في صف أعدائنا، تأكل معهم، تمازحهم، تسكت على إهانتهم، وما زلت تعصرنا لتقدم دمنا لهم مشروبا يحييهم ويزيد من قوتهم،

أضاف صوت متماسك: لا نذكر كيف أتيت، ولا من أين، ولا من زَوَّجَك لأمنا، ثم من قال أنك سيدنا..

قال السيد مرتعشا: قبل قليل أكدتم لي أني سيدكم، وأكدتم حكمة قولي وحروفي، وأكدتم على شرعية سيادتي عليكم ..

قال صوت آخر: أعمانا عماك فعمينا، لكن النور عند وصوله أضاء بصيرتنا ..

قال صوت آخر: خفنا منك، فرقت بين الأخوة، جعلت منا دُمىً تحركها كيف تشاء لتضرب وحدتنا ..

وزاد صوت لأخ آخر: جاء الضوء ليكشف ظلامك المدقع، وليخرجنا من حلكته الظالمة .. ليحررنا من أغلالك التي تسحرنا، وتمنع أصابعنا من الاشارة إليك بالجرم المشهود ...

وزادت الأصوات .. وبصوت متصاعد ... اخرج .. اخرج .. أخرج .. لن نبقيك بعد اليوم ولو صورة باهتة ..

أخرج .. وإلا أخرجناك ...

.....

وفجأة..

ووسط حمم الثورة، عَمَّ الكونَ سلامٌ شامل .. عم القوم اطمئنان كامل .. أحسوا بنسائم ريح طيبة تلامسهم .. وسمعوا صوتا غاب طويلا عن ضمائرهم ..

يباركهم ويقول :

بوركتم يا أولادي .. بوركتم في كل زمان ومكان،

بوركتم يا أحفاد عمر وصلاح، يا أولاد أمكم العصماء،

بوركتم حقا بأمر الله .. لا بأمر الشيطان ..

أنتم حقا أولادي .. أنتم حقا أولادي ..

.....

سكنوا جميعا ..

اللحظة تأسرهم .. من قبل .. لم يستمعوا لمثل هذا القول،

شعروا جميعا بالزهو ..

لأول مرة تحضر أمهم رغم القيد، ورغم جدران السجن، حرة .. تكلمهم .. تثني عليهم الفعل

كيف حدث ذلك .. كيف استطاعت أن تحطم زنزانة الخوف ..

وكيف وصلت الآن لتشاركهم .. الثورة على الظلم ..

سألوها: لكن كيف .. حسبناك أقرب للموت .. لم نشعر أنك يوما حية تتنفس هواء الخير ..

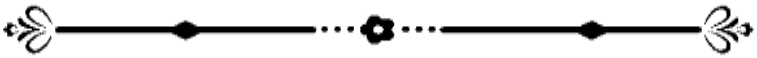

ردت بحنو: أنتم أولادي من أعطاني القوة ... اكتشفتم زيف الرجل الأب ..
صرختم في وجهه ... فانتقل الخوف إلى قلبه .. فزُلزِل بالرعب
سألوها: أيضا كيف .. لقد كنت بعيدة ... تحتاجين لأيام وأسابيع لتستعيدي عافيتك ..
ردت بحنو أكثر .. وباتسامه دافئة توزعها عليهم واحداً تلو الآخر: لقد أزلتم سحر الساحر يا أولادي .. لقد زال السحر .. بصحوتكم، بصراخكم في وجه الأب الشيطان ... بتوحدكم حول كلمة الحق .. زلزلتم أركانه .. وخلعتم عنه ثوب الثقة العمياء بقدراته ..
ها أنا قد عدت إليكم لأحضنكم .. وأعيد الخير لمنبعه ..
قال الصوت الأول الهادئ الواثق المتماسك: إذن قد عدت أخيرا أماه..
عدت أخيرا يا أم الخير والبركة.. لن نفرط بك أبدا بعد اليوم ولو للحظة نوم

.....

ولن نسمح أبدا للساحر أن يرجع
لن نسمح أبدا للساحر أن يرجع ..
قالوا جميعا بصوت واحد:
لن نسمح أبدا للساحر أن يرجع ..
لن نسمح أبدا للساحر أن يرجع ..

****

الأضحية

2011/7/16

ما الذي يجري بربك؟

هل تطرد قلبك، أم أن قلبك يقض مضجعك؟

لماذا إذن تبقى واقفاً هنا وحدك كشاهدٍ لم ير شيئا بعد؟ أنت تنتظر ما لا تعرفه، بل تجهل من أين سوف يأتي، ومع أي ريحٍ سيصدم ملامحك المتشوقة للانبهار..

لماذا عليك أن تمارس فعل الوقوف، وأنت لا تملك هدفاً محدداً تصوب نحوه، حتى أنك تفتقر لوسائل الوصول إلى هدفك المجهول..

ماذا ستقول يا مْسَلَّم بن سالم المْسَلَّم.. وبماذا سترد..!

أنت موجود.. إذا أنت موجود، الوجود بالنسبة إليك يعني أن تأكل وتشرب وتغير ملابسك، والقدرة على تشكيل ملامحك الأرجوانية بين وقت وآخر وفقاً لما تتوهم أنك هو، ووفقاً للخارطة الذهنية التي تم تكييف سلوكك لتصبح آلة للموت كما أنت اليوم، وتحويلك من كونك أنت إلى كونك شيئا آخر لكنه حتما ليس أنت، وأن تجري على هواك، الذي.. لا تعرف تفاصيله.. فقط مجرد توقعات مُبْهَمة..

لكن المسألةَ ليست هكذا، والمعادلة مختلفة.. فكونك موجود لا يعني حقاً أنك موجود فعلاً، صورتك على الجدار أيضاً تخبرنا بوجودك، لكنها تبقى مجرد صورة.. تبهت يوماً بعد يوم، عليك أن تكون شيئاً قبل أن تكون موجوداً.. عليك ألا تكون صورة أبداً..

عليك أن تكون أرضاً معمرة، تنبض بالحياة وبالأمل.. نعم أرضاً تثمر الحب، تحتضنُ الأرواحَ الطاهرةَ التي تتصاعد يومياً مع كل عدوانٍ صهيوني، يستهدف ضفائرَ عشقك الاستشهادية، المتجذرةَ في أعماق وجودك، والذي تخفيه هنَّاتك المبعثرة بين أسئلتك التي لا معنى لها، مثل.. هل تقاومُ عدوَّك أم تعشقه إلى درجة الغرور والتيمن بمحاسن تبعيتك المطلقة..

عليك أن تكون مخيماً وأن تجرب معنى العيش محاصراً في مساحة ضيقة، وسط جدران مغلقة، تتلاحق بين أزقته أنفاس الحيارى بين أسئلة وجودهم هم أيضاً، بين هل وكالة الغوث تعطيهم حياة، أم أنهم أصبحوا مجرد لعبة صيفٍ ساقطة، ترفعها وقتما تشاء في وجه الذين يفركون عيونهم عند يقظتهم من غفلة الكوبونات المخدرة ..

عليك أن تتحول إلى مُعْضَلةٍ في وجه عدوِّك، فلا يستطيع الوصول إلى رقمك السرِّي الذي من خلاله يقنصك أمام المارة، وأنت تجلس مع جيرانك البسطاء الذين يرَوْنَ فيك حُلْمَهم المقدس، فتكون قد ضيعت حقك في الوجود..

وعليك أن تكون شهيداً حتى قبل موتك، تناجز أعدائك، لا تسلمهم مقودك ليقهروك، ليستعبدوك، وليستبعدوك من قاموسك الفلسطيني، الذي بناه تاريخٌ طويل من بطولات الصمود والموت وقوفاً تحت شمس الحرية الدافئة..

وأراك ما زلت مصراً على أنك موجود بدون كل ذلك..

حسنا إذن.. أخبرنا من تكون؟ وماذا تفهم؟ وإلى أين ستذهب؟ وكيف ستستغل وجودك الذي قررته لنفسك..

هل ستعيد وطناً يغتصبه متطفلٌ على تاريخك المسلوب؟ هل ستنقذ روح طفلٍ غاضبة من سلوكك المطأطئ لعدوك؟ وهل سترتاح وأنت حي تأكل كما تقول من فتات موائدهم المغموسة بالدم الفلسطيني، وتلبس ملابسهم الحربائية المتلونة، وسط أبناء حارتك الجوعى الذين بالكاد يسترون أوقاتهم من فضيحة السكوت عراة في فجر النداء العالي الذي يبشر بالقيامة..

.....

مْسَلَّم بن سالم الِمْسَلَّم ما زال يعتقد أنه على صوابٍ، وأنه بالتنسيق مع العدو إنما يداري على ممارساته غير المقنعة، ويحولها إلى عمل تطوعي خيري يجب أن يثاب عليه، في الدنيا والآخرة، معتقدا أنه بذلك ينقذ نفسَه من اغتيال الليل لأحلامه الضيقة التي انحرفت عن الرؤيا الصادقة، وإذ يعتقد بقوة أن عدوه بالأمس وباليوم وفي الغد، يمكن أن يصبح صديقه الوحيد، كما هو واقع يعيشه اليوم، يحتضنُه ويدافعُ عنه ويحميه من جور

أخيه الآخر، الذي رفض مْسَلَّم شراكته منذ البداية.. ليس لشيء محدد.. فقط لأنهم أمروه بذلك وإلا.. فليبحث عن مصرف مثالي يمده بقوت يومه..

هكذا يفهم مْسَلَّم طبيعةَ عمله مع العدو، مجرد وظيفة يأكل من ورائها عيشاً حافاً، ولا مانع لو شرب ورائها كأساً من الخمر المعتقة في سراديب عصور الظلام القائمة ..

مْسَلَّم بن سالم المْسَلَّم، أيضاً مستعدٌ وفقَ فهمِه هذا أن يقتلَ أبيه، لو رفض الآخرَ، الدموي، شريكاً له في فلسطين، وفي الأقصى، وفي التاريخ، وعندما نشرح لمسلم بأن العدو لا يريد شريكاً أياً كان شكل ومدى استعداده للتفريط، خصوصاً لو كان مْسَلَّمَ نفسه، يضحك مقهقهاً كالأبله بأنك متآمر عليه، وأنك شريك لحفنة الانقلابيين الذين لا يحفلون بما تفعل، ولا يصبرون لجني ثماره..

وعندما نتساءل عن أي ثمارٍ يعني.. يهز رأسَه مباهياً.. ستعلمون كل شيء في وقته، ستعلمون كل شيء في وقته..؟

.....

في صباح هذا اليوم الموافق تاريخاً مخيفاً، لا يود أحد أن يذكره، وفي نفس الوقت لا يمكن نسيانه، حدث ما لم يكن في الحسبان، لقد تلقى مْسَلَّمَ بن سالم المسلَّم أمراً واضحاً.. عليك أن تقتل اليوم أسداً في عرينه، اقتله

قبل أن يستيقظ ويهاجم مجموعات الجُرَذَانِ المتجيِّشةِ وراء الذئب القاتل، الذي يغلق الباب عليه..

لبس مستعجلاً.. وحمل سلاح القنص الذي يدل على أسلوبه في الحياة، وفتح الباب ليخرج، وعندما سمع تساؤل ولده الصغير.. إلى أين تذهب يا أبي.. ألست في إجازةٍ اليوم.. إنه أول أيام عيد الأضحى، وقد وعدتنا بأضحيةٍ سمينةٍ..

ابتسمَ، دون مشاعرَ، ودون رد واصل خروجه، فحاسوبه الداخلي يطرق على رأسه المبرمج بأيدي الغرباء.. اقتل.. اقتل.. اقتل.. وظيفتُك حمايتُنا، وظيفتُك أن تقتلَ من أجلِنا، اليوم فرصتك لتبرهن على مدى انتمائك لمنظمة القتلة العالميين..

خرج وهو لا يلوي على شيء أمامه، ولا يلتفت لمن ترك خلفه، فقط مهمته الأولى التي ستزيد حصته من غلة كوبونات وكالة الغوث، وستمنحه تصريحاً بمدة أطول، للمرور إلى حانات هرتسليا وتل أبيب وحيفا و..

لقد كان أول يوم في عيد الأضحى.. الناس كلهم كانوا في طريقهم إلى المساجد وهم يرددون تكبيرات العيد.. الله أكبر الله أكبر الله أكبر.. لا إلهَ إلا الله، الله أكبر الله أكبر ولله الحمد، وهو يسير باتجاهٍ معاكس تماماً، لاتجاههم..

هو لا يذكر أنه صلى مرة واحدة في حياته، فقط ربما مرة أو مرتين أضطر فيها لذلك، وفعلها بدون وضوء وبلا طهارة من خبث الجنابة، التي لم يفكر في يوم من الأيام أن عليه إزالته بالاستحمام..

عندما وصل لعرين الأسد، لم يعجبه الحال، كان زملاؤه في حالة استنفارٍ مستفز، يضربون الناس ويبعدونهم عن المكان.. فقط.. دون أن يتخذوا إجراءً فعلياً للهجوم على العرين. ووجدها فرصةً لإثبات نفسه، واثباتِ استحقاقه الجائزة أكثر من غيره، فوراً قال لهم: أنا لها.. أنا لها.. كيف يا مسلم أخبرنا.. ماذا ستفعل.. سألوه، أجابهم: اجمعوا مجموعةً من الأطفال، ودعوني أقتحم العرين من ورائهم، هيا، وبدون وعي استجابوا له.. وهم فرحين بالاكتشاف المبين، لقد فعلها أحدهم أخيراً، وأثبت أنه قادر على قهر وجودهم الغائب..

.....

عندما عاد في الليل إلى أطفاله، وجدهم ما يزالون في حالة يقظة كاملة، تستحوذهم مشاعر السخط والغضب على أبيهم الذي لم يفِ لهم بوعده، بأن يكون معهم في أول أيام عيد الأضحى.. يذبح أضحيته، ويفرح أهل بيته، كلهم حانقون على تصرفه العجيب.. سألوه: أهذا وعدُك.. أهكذا يمضي العيد ككل عام بعيداً عنا، أين كنت، ماذا كنت تفعل، وماذا تحمل معك.. قال بسرعة وهو يلقي بحقيبةٍ ثقيلةٍ أمامهم.. خذوا.. إنها لحمة العيد.. افعلوا ما شئتم، وكلوا ما تقدرون على أكله.. اندفعوا مسرعين إلى الحقيبة، وقبل أن يفتحوها توقفوا.. كيف! نحن لم نتفق على لحمة جاهزة.. اتفقنا على أضحية حية، قال: إنها كذلك.. لم أشترها بل هي نصيبي من أضحية اليوم.. نصيبك؟! تساءلوا مندهشين.. نظر إلى وجوههم.. لمَ

العجب؟! لقد اشتركت وبعض الزملاء في ثورٍ كبير، ولماذا لم تحضر مبكراً، إننا الآن بعدَ منتصف الليل، قال: لا تكثروا من الأسئلة.. لكن سأخبركم.. لقد قمت وزملائي بزيارة إلى تل أبيب، قضينا وقتاً ممتعاً هناك.. احتفالاً بهذه المناسبة..

تل أبيب ؟! لماذا تل أبيب؟ وهل تحتفل تل أبيب بعيد الأضحى مثلنا.. إنهم يهود.. ليسوا منا، ولسنا منهم، لا ننتمي إليهم ولا ينتمون إلينا، لا.. لا ليس الأمر هكذا..

كنا مجموعة أصدقاء عمل.. واحتفلنا بانجازنا عملاً مهماً.. أجاب..

ما هذا العمل المهم الذي يبعدك عنا.. قالوا

تمطى وفرد ذراعيه ورفع رأسه مُبَاهياً: لقد اصطدنا أسداً شرساً، قاوَمَنَا، وقَتَلَ بعْضَنَا قبل أن نتمكن منه..؟!!!!!

وهنا تدخلت زوجته: أتساءل.. من منكم الذي ذبح الأضحية..

مْسَلَّم بن سالم المْسلَّم: جميعنا

الزوجة: جميعكم.. لم أفهم

مْسَلَّم بن سالم المْسَلَّم: كانت سكيني التي نحرت الأسد

الزوجة: الأسد؟! أسأل عن الأضحية لا الأسد..

مْسَلَّم بن سالم المْسَلَّم: نعم.. نعم.. أقصد الثور

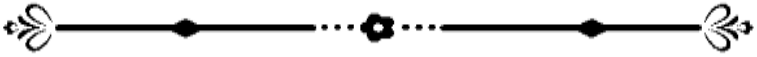

الزوج: لكنني لم أعهدك تعرف الذبح الحلال

مْسَلَّم بن سالم المْسَلَّم: ما هذا الكلام الكثير..

الزوجة: ظننت أن الأضحيةَ ليست حلالاً..

مْسَلَّم بن سالم المْسَلَّم: ليست حلالاً ؟!! ماذا تعنين؟

الزوجة: نعم.. كُلْهَا وحدك.. لن نشاركك ذبيحتَكَ أبداً .. قبل أن تثبت لنا بأنها ذُبِحَتْ حلالاً

مْسَلَّم بن سالم المْسَلَّم: لقد فعلت ذلك من أجلـ..

الزوجة: لا .. ليس من أجلنا.. لم نكن أبداً ضمن خططك أو مشاعرك، لقد أبقيتنا دائماً على هامش حياتك.. المقززة!

مْسَلَّم بن سالم المْسَلَّم: بل من أجلكم..

الزوجة: لا.. بل من أجلهم..

مْسَلَّم بن سالم المْسَلَّم: من تقصدين؟!

الزوجة: الغرباء.. الغرباءَ.. أسيادك الجدد .. الذين تعرفهم.. يسوقونك كعبد، وتخدمهم بلذة، تطعن أهلك بخنجرهم، وتحرق وطنك بنارهم، ثم يشعرونك أنك القوي بسلاحهم، والغني بأموالهم، فيستعبدونك، فلا تنحرف عن تنفيذ أوامرهم ضد شعبك، وأسود شعبك ..

بئس الرجل أنت، وبئس الزوج لأهلك، وبئس الوالد لأولاده .. ما جئتنا إلا بالعار يهلكنا ..

ويحك احمله وحدك، ولا تشركنا في وِزْرِ خيانتك ..

لا بارك الله في إجرامك.. أنت عبد "دايتون" وجنديه الحارس لأهوائه، وكنت أظنك تحمل السلاح دفاعا عنا وعن أسود بلدك ..

****

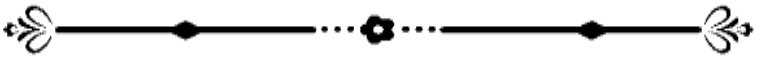

ممنوع من السفر

2009/12/17

انتهت إجازة مسلم بن سالم المسلم ..
وحان وقت العودة لدولة الإمارات حيث يعمل هناك .
حزم حقيبته الصغيرة ..
وتأكد من أوراقه .. وثيقة السفر المصرية للاجئين الفلسطينيين، بطاقة الهوية، وتصريح السفر الصهيوني، وتذكرة السفر ..
ودع والدته وتوجه إلى معبر رفح ..

على البوابة سلم أوراقه للجندي الصهيوني الذي يقف على البوابة، وقفل راجعا حوالي مائة متر إلى الوراء .. حيث المسافرون يجلسون في العراء تحت أشعة الشمس المتوهجة لشهر آب، ينتظرون أن يؤذن لهم للدخول .

ثماني ساعات مرت .. قبل أن يسمع اسمه عبر الميكروفون الصغير المثبت على برج المراقبة والحراسة الصهيوني بجانب البوابة ..

تحرك بسرعة .. وركب السيارة التي تسير حسب نظام الدور، وعند البوابة .. وقفت .. تحرك أربعة جنود صهاينة تجاه السيارة .. وأخذوا يتطلعون إلى وجوه الركاب السبعة من خلال النوافذ ..

بعد أن اطمأنوا على سلامة الوضع سمحوا لها بالمرور حتى باب صالة المغادرة، حيث إجراءات السفر تجري فيها .

هنا بدأت إجراءات جديدة للفحص الأمني، دخول الصالة يوجب على الفلسطيني المسافر المرور من البوابة الإلكترونية التي تكتشف الممنوعات، والمقصود هنا أي نوع من المتفجرات .. اليهود يخشون على أنفسهم .. أرواحهم أغلى لديهم من أي شيء آخر .. ربما المال يتقدم على الحياة .. لكن يظل الاثنان معا رمزا مقدسا في حياة اليهود الغاصبين لفلسطين ..

بدأ المسافرون بالمرور إلى الصالة عبر البوابة .. قبل ذلك قام كل واحد بإزالة كل ما يتوقع أن يثير البوابة ووضعه في صندوق خاص يفحصه جندي صهيوني بعناية قبل أن يمرره إلى الناحية الداخلية من البوابة،

.. إثارة البوابة تعرضه لإجراءات أخرى.. همجية وعنيفة جدا أحيانا.. أحد المسافرين.. أثار البوابة فأطلقت نفيرها الصارخ .. فتجمع فورا حوله عدد من الجنود مشهرين أسلحتهم تجاهه.. فتشوه .. لم يجدوا شيئا.. أشاروا له بالمرور.. ثارت البوابة مرة أخرى.. عادوا لتفتيشه .. لم يجدوا شيئا. سمحوا له بالمرور .. خمس مرات تكرر الأمر، في المرة الأخيرة اجبروه على

خلع ملابسه كاملة أمامهم .. وفتشوا جسده بعناية .. لم يجدوا شيئا .. ورغم ذلك . أطلقت البوابة صرختها المرعبة .. استدعوا مسئولهم.. بعد تبادل الكلام قليلا بينهم .. ادخلوه ولم يبالوا باحتجاج البوابة ..

تمتم أحد المسافرين .. دائما يحدث هذا لنا ... تصرخ البوابة حتى نخلع ملابسنا .. يبدوا أنهم يتعمدون ذلك .. لإذلالنا ..

أخيرا دخلوا جميعهم إلى الصالة، جلسوا على مقاعد مخصصة للمسافرين، موضوعة بحيث يواجهون نافذة زجاجية تجلس خلفها جندية صهيونية أمامها جهاز حاسوب تفحص من خلاله الأسماء وملامح الوجوه للمسافرين، وتفحص الوضع الأمني لكل واحد .. سوابقه الأمنية .. وهل شارك في نشاطات وطنية أو فدائية ضدهم.. وهل هو من المطلوبين لاعتقالهم ..؟

بين حين وآخر كانت الجندية تنادي على احد الأسماء بالعربية المشوهة الأقرب للغة العدو العبرية .. من يسمع اسمه يرفع يده عاليا .. تنظر له بعناية وتقارن ملامح وجهه مع صورته المحفوظة لديها في الحاسوب..

كانت الإجراءات تسير ببطء شديد .. ومسلم غارق في أحلامه وتخيلاته .. إنتقل إلى الإمارات حيث أصدقاءه ينتظرونه..، كان يستعرض وجوههم واحدا وراء واحد.. ويبتسم بهدوء.. حتى أتى إلى وجه صديقة احمد البلدي.. هنا اتسعت ابتسامته .. واتسعت .. صارت أقرب للضحكة ..الهادئة

فقط بدون صوت .. ابتسامة تشير إلى هدوء بال، وإلى راحة نفسية، وإلى حالة سعادة مميزة يعيشها في تلك اللحظات ..

موسالام ساليييم موووسالام .. موسالام ساليييم موووسالام .. موسالام ساليييم موووسالام .. لكن أحدا لم يرد ..

انتبه مسلم على جاره ينخزه بإصبعه ... إنها تنادي عليك .. أليس هذا اسمك.. انتفض مسلم.. ورفع يده عاليا. وكان لا يزال يبتسم .. ابتسامته الهادئة ..

نظرت الجندية بغضبٍ إلى وجهه .. دققت في تفاصيله أكثر من أي واحد آخر.. ابتسامته التي تراها على وجهة غير موجودة على الصورة.. الصورة عابسة مكفهرة.. وأمامها في الصالة وجه يبتسم بملامح هادئة طيبة سعيدة..

بعد أكثر من ثلاث ساعات سمحوا للمسافرين بالمغادرة إلى الحافلة التي ستوصلهم إلى الجانب المصري .. وقف مسلم كالآخرين .. قبل أن يتحرك .. سمع إسمه ... موسالام ساليييم موووسالام .. انتبه للصوت .. وتوجه ناحيته .. كانت الجندية نفسها .. أشارت له بالاقتراب من النافذة .. اقترب وابتسامته على وجهه .. اقترب أكثر وأكثر حتى أصبح ملاصقا تقريبا للنافذة .. سمعها تتكلم ..

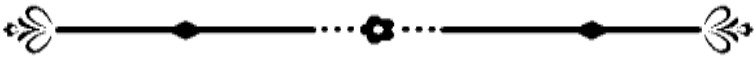

إنتي إضحاك .. موسالام ... إنت حِبي الضحييك .. . رد عليها بابتسامته .. لم يتكلم .. لا حاجة لأي كلمة تخرج منه .. الموقف يبدو حرجا .. أحس بان مكروها سيحدث له ...

روخ بيتك ما في سفر ... ياالله روخ بيتك .. وإضحك كتيير هناك ...

صدمته المفاجأة .. لم يتوقع ذلك .. فهو يعرف نفسه .. لم يفعل شيئا ليُمْنعَ من السفر .. هكذا حدَّثَ نفسه ... لماذا ... حاول التكلم معها .. كانت قد ذهبت ..عندما رأى جنديا يقترب منه . يشده إلى الجانب الذي أتى منه ..

الوضع لا يحتمل الجدال .. استرجع ابتسامته إلى وجهه .. وهو يتخيل وجه أمه والمفاجأة التي ستصيبها عندما تراه عائدا إلى حضنها،

ومشى بهدوء نحو بوابة المعبر ..

****

لا تتعجلي ..أرجوك

2013/11/6

قرر التحرك باتجاهها، لا يستطيع الانتظار أكثر من ذلك، لا يستطيع الابتعاد عنها، تفكيره منصب عليها، وفيها..

هي فتاة شابة، جميلة، بروحها الخلابة .. زرعت حوله حديقة آمال وأحلام، منحته بنشاطها المبدع، وتعاونها الدائم معه، أحاسيس القوة والعمل والإنتاج، وزودته بوجودها الدائم معه أسبابا لتغيير تفكيره القائم على أنه يعيش بانتظار الوصول إلى محطة النهاية .. التي قد تكون في أي لحظة ..

حتى أنوثتها التي تخفيها خلف تكريس وقتها كله في إجادة العمل وانجازه بالشكل المطلوب، وما يتلوه من تعابير الفرح والسعادة بنجاحنا معا.. استدعت مشاعر الذكورة فيه، التي كادت تغيب في خضم الانخراط المتشعب بين الأولاد والعمل والحركة الدؤوب والاجتماعات .. نعم كاد ينسى أن يعيش كأي رجل عادي دون النظر إلى عمره . .

طول العمر لا يعني شيئا عند الرجال المخلصين الجادين المؤمنين.. لأنه يمنحهم خبرة إضافية وحكمة اجتماعية، وعلما ومعرفة بأحوال

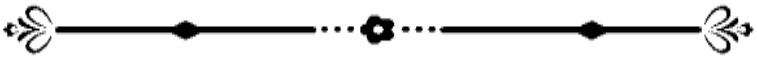

الدنيا ومعارفها، ويزودهم بجمال الصورة المصحوبة بالرضا والإيمان والقدرة في التعامل مع جوانب الحياة المختلفة باقتدار وحنكة وصبر ..

ثم أنه ليس بخيلا في نفسه ولا في ماله ولا في علمه ولا في خبراته التي يستخدمها وفق الأصول التي تراعي استفادة الآخرين من عمله وعلمه وجهده

نعم عليه أن يتحرك .. رغم إدراكه أن الأمر يحتاج للتمهيد له .. لكن.. الحب لا يقبل التدرج .. بل يدعوا إلى الهجوم المباغت الذي يكشف مشاعر النفس الحقيقية..

يحبها .. ويعتقد أنها تحبه .. هي أيضا تحبه .. لا يعلم إلى أي درجة،، وما نوع حبها .. لكنه يظل حبا .. إنها تحبه .. ولا يجب أن يضيع الوقت في التفكير الطويل .. وقرر أن يخطو نحوها..

.....

قال لها: أتعرفين .. لقد تغيرت حالي منذ عرفتك

سألته: كيف

أجاب بثقة: حياتي أصبحت جميلة، أحببت الحياة أكثر، أريد أن أعيش وأن أفرح

قالت: تستحق كل الخير، أنا أيضا تغيرت حالي منذ عرفتك، تعلمت الكثير منك، وتعلمت كيف أواجه صعوبات الحياة

قال: أتعرفين .. عندما نكون معا نصبح فريقا قويا ورائعا

قالت: صحيح ..

قال لها: أشعر أن الحواجز كلها أزيلت من بيننا.. لا شيء يمنع تواصلنا واستمرارنا

قالت: ولماذا توجد الصعوبات .. نحن فريق متحد

قال: لكن أظن أن فريقنا يحتاج للتطوير .. يجب أن نتقدم خطوة أخرى إلى الأمام

قالت: نحن فعلا كذلك .. ونظل كذلك

قال: أعلم .. لكن ماذا لو غيرنا عنوان فريقنا.. ماذا لو أعطيناه اسما جديدا، يكسر كل ما تبقى من العوائق بيننا

قالت: أي عوائق .. لا أفهم .. وما هو الاسم الذي نحتاجه

قال: فقط فكري في الأمر .. ولا تتسرعي .. يجب أن نأخذ الصفة الرسمية في علاقتنا معا

قالت: ماذا تعني .. أفصح أكثر ..

قال: تعلمين أنني أحبك

قالت: نعم .. كابنتك

قال: أكثر من ذلك .. أحبك كامرأة تشاركني ما بقي لي من عمر

قالت: نحن شركاء في الواقع ..

قال: لا...لا .. لا أعني العمل .. بل أعني الحياة والأسرة والبيت والأولاد و..

قالت: ماذا .. تعني .. الزواج

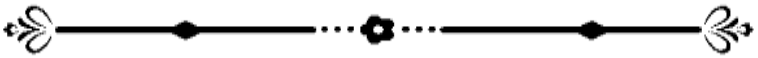

قال: نعم .. نعم فأنا أحبك .. أحبك كثيرا جدا.. ولا أتخيل حياتي بدونك

قالت: ولكنني .. لكنني ..

قال: ماذا .. تكلمي

قالت: أتعرف كم أبلغ من العمر

قال: 25 عام

قالت: وكم عمرك

قال: 60 عاما

قالت .. كيف .. كيف يمكن ..أن تحبني كامرأة .. ظننتك تحبني كابنتك كما أحببتك كأبي ..

صمت قليلا.. أحس بأنه قد يكون تسرع فعلا في مفاتحتها بالطلب، لكن لا.. ولم لا يفاتحها.. ثم أنه لم يخطئ باختياره لها عروسا له.. يحبها بعمق.. ويريدها بقوة، ويحتاجها معه، الشرع يحثنا على الأخذ بأسباب الحياة إلى النهاية، ونهانا عن التوقف.. الإسلام حركة مستمرة إلى الأمام.. لا وجود للعوائق ولا للحواجز .. بالإيمان والصدق وبالهمة العالية، يستطيع الإنسان فعل ما يريد، وإذا أراد .. لا يقدر أحد أن يرجعه عما أراده، وهو يتذكر حديث الرسول العظيم "إذا قامت القيامة وبيد أحدكم فسيلة فليزرعها"، هذا هو الأمل وهذا هو العطاء الصحيح الصادق .. وعمره لن يعيق عطاءه لها .. إلا أذا كانت صحته متراجعة، وإلا إذا كان يعاني من أمراض معينة، تسبب له العجز والضعف . .صحته جيدة وهمته عالية، لن يهينها أبدا . .

ولن يرضى أن يكون سببا لذلك، كيف وهي حلمه وروحه .. سيعوضها عن إحساسها بفرق العمر ولن يجعلها تشعر بذلك ..

نعم السن ليس عائقا أمام الزواج، كما أن الإعاقة الجسدية لا تمنع الزواج.. بل ربما العكس هو الصحيح .. الحياة يجب أن تستمر .. مادام أمر الله لم يحن موعده..

نظر إليها بعينيه اللتان اختلط فيهما الحب مع الصدق مع الثقة بالله، ورد عليها بصوت حنون دافئ: لا تبالغي كثيرا .. الحياة أحيانا لا تخضع للقواعد العامة . .أحيانا يوجد الاستثناء .. وتوجد الإرادة المشتركة

قالت: لكن .. كيف .. ما زلت .. لا.. لا أصدق ..

قال: بل صدقي .. سأجعلك سعيدة .. ولن تندمي أبدا .. بقبولك لي زوجا

قالت: الفرق بيننا 34 سنة كاملة.. أين يكمن الحب بين هذه السنين وكيف يعيش.. سيكون مقيدا، مكسور الجناحين .. يحتاج دائما لمن يساعده وينقذه من حفر الطريق.. الإرادة وحدها لا تكفي ..

قال: الحب لا يستسلم للفوارق ولا تلغيه السنون، ولا تعجزه الصعوبات والحواجز

قالت: لكن .. ما زلت صغيرة على الحب.. وأنت كبير بما يكفي ألا تقع في الحب ..

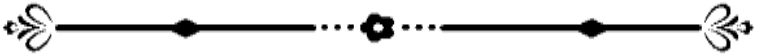

قال: الحب له قواعده واستثناءاته.. وروعته أنه لا يسلم بما يسلم به عامة الناس .. هو دائما يفرض قانونه الخاص به.. ولا يخضع لقوانين العادات والتقاليد . . ما دام يستظل بشرع الله وأوامره ونواهيه

قالت: لا..لا.. لم أتخيل أبداً هذا الموقف في حياتي ..

قال: أي موقف .. أن تكوني زوجتي!

قالت: ليس هذا فقط .. أن أحبك كرجل وزوج ...و... أمر غير واقعي.. وغير ممكن

قال: لماذا .. الست رجلا كاملا، ألا يحق لي أن أحب من خفق لها قلبي، ومن أعطتني أملا كبيرا للحياة ..

قالت: أشعر بما قلت.. وأصدق كل كلمة تفوهت بها.. لكن ماذا عني .. ألا يحق لي أن أحب من خفق له قلبي أنا .. !!

قال: لك كل الحق .. لكن لم أشعر أبدا أن هناك شخصا آخر تهتمين به.. بالعكس.. لقد كنت دائما معي.. بابتسامتك، وبنظراتك المتحفزة، وبلسانك الذي يقطر شهداً مع كل حرف تنطقين به.. لقد أحببتك.. وتصورت أنك ربما تبادلينني المشاعر نفسها.. كنت دائما بمثابة الأب الصالح لك .. ثم أصبحت العاشق الوله بحبيبته .. لم أصمد أمامك .. كنت شيئا مختلفا في حياتي .. جعلتني أفكر بنفسي .. بأيامي .. بمعاني وجودي حيا.. جعلتني حيا

قالت: تماسك نفسك .. لا أستطيع تخيلك إلا أنت كما أنت لم تتغير . .الرجل الكبير .. الذي أشعر معه بمحبة الأب وشفقة الكبير واهتمام المعلم وصدق الشريك، و..

قال: لا تتعجلي الأمر .. لا أطلب جوابا الآن .. أعط نفسك مهلة للتفكير .. صل ركعتين واستخيري الله ..

قالت: لا .. لن أنتظر .. ولأكن صريحة معك . . كيف أحببتني ؟ وأنا الفتاة الصغيرة التي لا يجاوز عمرها عمر ابنتك، إنها أربعة وثلاثون عاما فرق العمر بيننا ..

أنا نهار كامل وأنت .. أعذرني .. ليل كامل ..

قال: نهار كامل وليل كامل .. النهار والليل لا يلتقيان أبدا .. حكم قاس .. قاس ..

أنت تقررين .. لا يجب أن أحب، ولا يجوز لي التفكير في ذلك .. وحياتي التي لا يعلم طولها وأجلها إلا الله .. يجب أن أقضيها مكتئبا، وحيدا، بلا تفاعل، وبدون أحاسيس ومشاعر ..

فقط أظل آلة تدور حتى ينتهي عمرها الافتراضي، ويحترق زيتها، وتفقد قوتها وسلاستها .. ويتم تغييرها بآلة جديدة متطورة أكثر قوة وأفضل مرونة وسلاسة وأكثر إنتاجا..

قالت: لم أقرر .. بل هو واقع الحال .. لا أستطيع قبول طلبك أبدا .. فما زالت الحياة أمامي واسعة .. واختياراتي في المستقبل متعددة ..

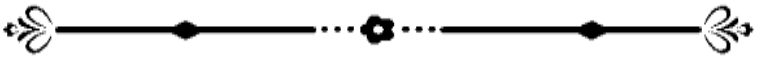

قال: أرجوك لا تحسمي الأمر .. لا تغلقيه . . إذهبي إلى البيت .. صل ركعتين ثم أُدْعِ الله بدعاء الاستخارة . .وشاوري من تثقين برأيهم .. أنظري رأي والديك .. أردت معرفة رأيك قبل أن أكلم والدك رسميا ..
لا تتعجلي أرجوك ..

****

الراتب

آه .. أخيرا انتهت الحرب،

...وأخيرا يستطيع مسلم بن سالم المسلم العودة إلى سريره باطمئنان، لقد تعب جدا طوال أيام الحرب ... لم يستطع أن يقدم شيئا من العون للمجاهدين، كما لم يستطع أن يكون منهم .. ولا أن ينتمي إليهم، في لحظات الجدارة الربانية التي يكرم بها الله البشر،

نقم على نفسه جدا..

لماذا أُسْتُثْنِيَ من المشاركة في الدفاع عن وطنه وعن شعبه وعن وجوده .. لماذا قنع من الرحلة بالإياب، خالي الوفاض، منكسر الجبين..

إنه قوي .. ما زال قويا، وله باع كبير في مقاومة الصهاينة، خبراته تدرس وتحكى للأجيال الجديدة من المقاتلين، ليحسنوا أدائهم القتالي ...

إنها المرة الأولى في حياته النضالية التي يقبع فيها داخل بيته، أسيرا بدون قيد..

استلقى على السرير ... لم يستطع النوم ... الشوك كان ينغرز في جلده ... والعرق المالح ينزف من مساماته التي يحس بها وكأنها قد تعفنت من بلادة الضمير، وتجمد الإحساس ... شعر بالألم وبالوحدة ... والندم ..

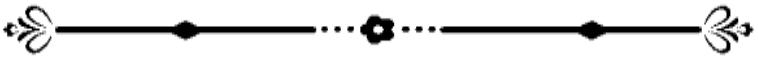

طوال الحرب كان يحلم بالسلاح وبالقتال وبالقوة ... كان يستدعي أمجاده القديمة، وكيف كان يشار إليه بالبنان .. وأنه البطل الشجاع الذي يقتحم الأخطار، لا يهاب الموت الذي يكمن له في كل جانب ... بل ويندفع بإصرار نحو قتال العدو..

كان يحلم فقط .. لم يكتشف ذلك إلا عندما استيقظ ... حيث الحرب قد توقفت... والسلاح مقبوضا بيده قد كساه الصدأ..

وهو .. هو، مازال في مكانه فوق السرير بجانب الراديو الصغير الذي يأتيه بالأخبار..

غضب، وتقلصت عضلات وجهه بشدة ..

حاول النظر إلى المرآة أمامه .. و.. لم يتعرف إلى وجهه الذي خلا من تفاصيله القديمة التي يحبها..

لم يتمكن من رفع رأسه أمام زوجته وأبناءه .. الذين يقدسونه .. وعيونهم حائرة تدور في تساؤل مبهم، يحمل الاتهام إليه..

ماذا سيقول لهم ... وكيف سيبرر تقاعسه واختفاءه في زمن الاحتياج إليه..

الخزي يتلبسه بالكامل..

لماذا انتظر

لماذا استسلم للحلم الكابوس..

لقد انتهت الحرب، دون ان يمارس جنديته الطبيعية فيها .. ودون ان يصنع تاريخا جديدا له ولوطنه ولشعبه..

تساءل بالسؤال المحرم .. والواجب أن يسأله .. قبل وصوله إلى هذه اللحظة الغائبة .. حيث الفناء يلتف حوله يريد أن يحمله ليلقيه بعيدا..

لما لم يكن رجلا لآخر مرة في حياته ... الفرصة عندما تأتي على الإنسان عليه اقتناصها ... وكانت هذه فرصته الأخيرة .. أن يعيش فلسطينيا حقيقيا..

ولم لم يمارس رجولته الفحولية، المفعمة بالشجاعة والمروءة ... كعادته القديمة .. لم استسلم خانعا ذليلا..

لقد ضيع نفسه .. عندما صمت عن الكلام .. والآن يشعر وكأنه باع وجوده كله لسمسار رومي جبان .. وظيفته الوحيدة ... بيع الأوطان .. والشعوب ... والحقوق!!...

و.. لم يجد جوابا في نفسه يريحه..

ولم تسعفه قوته وشجاعته وتاريخه النضالي ... باستحضار الجواب..

أحس أنه لو أطلق الجواب من عقاله، فسيعريه من ورقة التوت التي ما زالت تلتصق بعورته بفعل ضغط الهواء الذي يضربه من كل جانب .. يكاد أن يسقطه ... بلا رحمة..

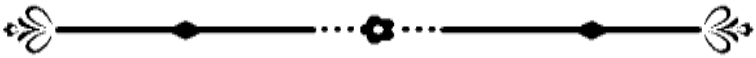

لقد انزاحت الغيوم الملبدة جميعها من أمام عينيه ... أصبحت الرؤية أوضح في قلبه مما كانت وهو ما يزال شابا يافعا..

ماذا يفعل .. لينجو

ماذا يفعل .. ليعود إلى نفسه الأولى.

الفرار .. الفرار..

نعم..

ليس أمامه إلا الفرار من هذه اللحظة العارية

فليفر الآن...

ربما يستطيع الرجوع فيما بعد..

ربما تحدث المعجزة.... التي وعدوها إياه بأنهم سيعودون إلى غزة كما دخلوها أول مرة ... وسيعود إلى جمع الغنائم المحرمة، التي أحرقت ما بقي من تاريخ شفاف .. لا يسمن ولا يغني وحده من جوع..

فالعبرة بالأواخر .. وليس بالهروب والانتظار ...

والعبرة بالنتائج .. وليس بالاعتماد على الأعداء ... الذين نهبونا حقوقنا .. فلا أحد يصدق أن الأعداء سيعودون عن جرائمهم... وسيتركون فلسطين لنا وطنا...

كيف ... إنها الأوهام التي حشو بها رؤوسنا المثاقلة كثقل الطمع وراء جمع الغنائم التي لا يستحقونها ... لأنها لم تكن ملكهم أبدا..

الوطن ليس غنيمة حرب ليكون لهم وحدهم..

والناس ليسوا مجموعات من العبيد الآبقين الذين يتوجب تقييدهم ومن ثم ترويضهم على ممارسة العبودية..

لم يستطع التواصل مع نفسه .. فأنفاسه تتسارع أكثر وتصبح عدوانية حتى تكاد تخنقه..

ليهرب بعيدا قبل استفحال حالته الميئوس منها.

ومسرعا خرج من البيت..

وهذه المرة كان يعرف طريقه .. لأنه المسموح الوحيد له ان يسير فوقه..

هكذا علموه .. وهكذا حذروه من أن ينحرف عن خريطتهم الدامية..

كان يعرف طريقه..

ليس له طريق سواه..

الأمل الأخير الباقي بين يديه...

وإلا فماذا يفعل رجل أنهكته الحروب ...واقترب من سن التقاعد.

يريد الموت براحة..

في حياته لم يطلب الراحة أبدا .. كان يرمي بنفسه وسط الموت..

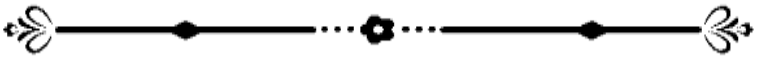

ونجا دائما ... طوال حياته وهو يطلب الموت شهيدا .. لكن الحروب الكثيرة وهبته الحياة

ليته ظل في حربه هناك .. بعيدا عن هذه اللحظة المشئومة التي يتم فيها ابتزازه .. حيث لم يعد حرا كما عاش طيلة عمره خارج وطنه .. كان يحسب انه كان مسجونا ومقيدا وهو يمارس ما يريده قبل العودة الأخيرة لبلده..

لم يدرك كم كان واهما ... لأنه يعيش الذل والقيد والهم هنا في وطنه ومع رفاقه وإخوانه .. حتى انه غير مسموح له بالقتال ضد العدو الذي حاربه دائما ...

قالوا له .. أو اجبروه ... العدو القديم أصبح صديقا لنا .. أما العدو الحقيقي فهو الذي يعيش بيننا، يريد أن يقتل صديقنا الجديد .. بدون حق .. وبلا اتفاق مسبق..

إنها النار يتلظى بها جسده ... يكاد يحترق حتى نهايته الفاضحة..

عليه الهروب مرة أخرى..

عليه أن يواصل الابتعاد..

أهل بيته ينتظرون عودته إليهم محملا بما لذ وطاب من فاكهة العدو، ومن منظفاته الكيميائية التي تعجز أجسادهم عن مقاومة دغدغتها المسيطرة..

قبل خروجه استمع للراديو جيدا

فأخبره بأن البنوك فتحت أبوابها..

وطمأنه بأن النقود قد وصلت القطاع بأمان..

لم تسرقها حماس .. كما أوهموه بأنها سارقة، ولم توزعها على الفقراء كما أشاعوا انها تنهب أموال الزكاة والصدقات، ولم تعوض بها اصحب البيوت المدمرة التي فجرها العدو بصواريخه القاتلة، بل كانت لها حارسة .. تؤمنها بالحماية حتى تصل للهدف ..ومنه إلى أيادي الناس..

وللتأكيد أكثر اتصل بصديقه المناضل الأقرب إليه من أي شخص آخر، والذي يعيش نفس حكايته ... هكذا كانوا معا منذ أطلق النفير نداءه، ..

وجده ما زال نائما فوق السرير..

كعادتهما عندما يختبئان من عار تفضحه إشراقه الشمس الجلية..

وبالرغم من ذلك..

فقد أكّدَ له الخبر...

ولم يبق إلا الذهاب ليستلم راتبه المقرر

كما وعده بذلك مسئوله العاشر أو الألف .. في رام الله.

ففي الحقيقة هو لا يعرف من يكون

لكنه يخشاه كثيرا لأنه معروف بالغضب، ويمكن أن يرتكب أي حماقة ضده

وهو يعرف أيضا بأنه قد أثبت جدارته بالتزامه الصمت الغريب..

وبالتالي يستحق أن يقبض راتبا.

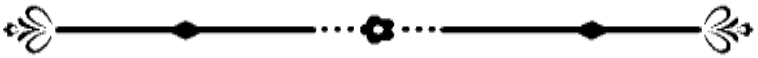

عجل العيد

1

الحاج أحمد، غني بفضل الله، تجارته مربحه، وأبواب رزقه متعددة، وهو في كل حال يعود إلى الله، يستعين به ويتوكل عليه، بنفس قدر خشيته وتذلله لله..

من عادة الحاج احمد وقبل أن يحل عيد الأضحى بأيام قليلة، أن يشتري عجلا لا يشرك معه أحدا كباقي الناس، وذلك من الشكر لله والتحدث بنعمته عليه، حيث يوزع اربعة اخماسه على الناس من الأهل والأصدقاء والمحتاجين من المساكين والفقراء..

وهكذا صار الأمر قبل العيد بيومين ذهب إلى حظيرة العجول واختار عجلا مميزا سمينا توسم فيه كثرة اللحم، وبعد ان نقد ثمنه للبائع أعطاه عنوانه ليرسل العجل إليه مباشرة..

قبيل المغرب بقليل، عاد الحاج أحمد إلى بيته كي يتناول إفطاره مع أهل بيته بعد صيام اليوم، وعند دخوله توجه إلى الساحة الجانبية التي أعدها للعجل، لم ير شيئا، تعجب .. سأل زوجه، أجابته بأنها لا تعلم شيئا وأن أحدا لم يحضر عجلا إليهم ..

توتر قليلا، وهاتف البائع عن ذلك، ولماذا تأخر ؟ وفوجئ به يخبره بأن العجل قد وصل إليهم فعلا...

أمر محير جدا، كيف ذلك وهو لا يرى ولا يسمع أي صوت قد يشير إلى وجوده ..

وبينما هو في التفكير تناهي إليه صوت جلبة الأطفال التي يصدرونها عادة في عيد الأضحى عند وجود العجل أو وصوله، تعجب أكثر .. يصدر من لدن دار الجيران، وهو يعلم أن أحدا من جيرانه أفقر من أن يشتري معزة..

خرج مسرعا .. وتوجه إلى بيت جاره حيث جلبة الأولاد وصراخهم .. ودخل ليرى العجل مربوطا إلى جذع شجرة الجميز الهزيلة وقد تجمع أولاد الحارة مع أولاد جاره يصفقون ويهللون فرحا بالعجل..

تسمر الحاج أحمد في مكانه ... المنظر جمده، وحمله إلى فضاء واسع جديد لم يدخله قبلا..

سرت فرحة الأولاد إلى أوصاله، وتخللته حتى ارتعش وهو يقول .. في نفسه .. هنيئا لكم العجل، والله لا أقلبها عليكم أبدا ..وتوجه عائدا إلى بيته وهو يردد مع الأذان الله اكبر الله أكبر..

وعلى مائدة الإفطار سأله أولاده عن العجل .. أخبرهم أنه غدا بإذن الله يشتريه ويحضره بنفسه.

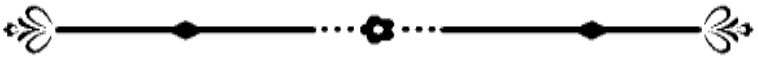

2

كان الجو عاصفا، والأمطار تنهمر بغزارة، وشاحنة العجول المحملة بالكامل تسير فوق الجسر الضيق .. وهي تتمايل يمينا وشمالا مع الريح التي تضربها بدون هوادة .. وصاحب الشحنة بجانب السائق يقرأ القرآن، ويدعو الله أن ييسر له الطريق، وأن يجنبهم أخطار الانقلاب أو التزحلق ..

ومع اشتداد الريح العاصفة، وغزارة الأمطار، اشتدت أرجحة الشاحنة المثقلة بحملها.. حتى أحس الرجل بأنها ستقلب لا محال في أي لحظة، وأنه سيفقد العجول كلها .. وأسرع في تلاوة آيات النجاة واللجوء إلى الله مكررا الدعاء .. يا رب .. يا رب إن أنجيتنا لأهبن أول عجل لأول مشتر .. هبة لوجهك الكريم...

3

في صباح اليوم التالي وعند الساعة التاسعة صباحا، كان الحاج أحمد في حظيرة العجول ليختار واحدا جديدا، عندما وصلت شاحنة العجول إليها وبدأت تفرغ حمولتها،

تقدم الحاج أحمد واستفسر عما إذا كان بإمكانه شراء احد العجول الجديدة، أومأ إليه التاجر بنعم، حيث بدأ يعاينها واحدا واحدا حتى اختار واحدا أشار إلى التاجر نحوه ..

أخرج الحاج أحمد محفظته لينقد التاجر الثمن، وسأله: كم المبلغ

رد عليه: هل ثبت اختيارك أم .. بإمكانك اختيار واحد آخر ..

قال له: لا لقد اخترت وهذا هو الثمن..

رد التاجر: ابق مالك في جيبك..

الحاج أحمد مستغربا: ماذا تعني .. ألا تريد البيع..

التاجر: لقد بعتك وهو لك بلا ثمن

الحاج أحمد: ماذا تقول..

التاجر: هو هبة لله، وهو لك بلا مقابل.

الحاج أحمد: اسمع أنا رجل غني ومالي كثير ولله الحمد، وأنا في غنى عن هذه الهبة..

التاجر: لقد وهبته لك أنت، ولا يصلح إلا لك وحدك دون الناس جميعا

الحاج أحمد: لكن لماذا..

التاجر: اسمع القصة .. وحكى له حكايته مع العواصف والمطر ودعاءه..

الحاج أحمد: سبحان الله .. إذن عليك أن تسمع حكايتي أنا الآخر..

التاجر مشدوها: سبحان الله .. إنه والله فضلك والله أراد أن يكافئك على صنيعك .. وما عملته أنا لا يساوي بعضا مما صنعت..

الحاج أحمد: صدق رسول الله حين قال: " ما نقص مال من صدقة"

الحمدلله .. الحمدلله..

****

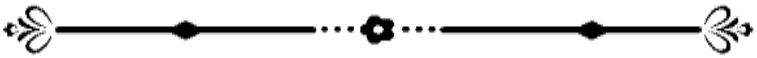

شريان الحياة

جاء من البلاد البعيدة

البعيدة جدا ..

البلاد التي اعتدت علينا .. وسلبتنا وطننا .. ونفذت وعدها الجائر لليهود..

جعلته وطنا لهم..

جاء هو اليوم لشيء آخر

ليس عدوا .. بل صديقا ..

جاء يعتذر عما جناه أسلافه بنا ..

ويشاهد على الأرض وقائع الألم والعذاب الذي تسببوا به لنا طوال قرن كامل من الغزو والاحتلال

جاء مع شريان الحياة ..

قبل الدخول إلى رفح ذاق الأمرين، كان عليه أن يصابر ويصبر على أذى المحطة الأخيرة المقفلة ... أراد الوصول بأي ثمن إلى أرض فلسطين .. إلى غزة ... التي هي كما يقول لمن معه .. العنوان الأصيل لفلسطين، والمُعَبِرَ الوحيد الصادق باسم الفلسطينيين جميعا..

قبل شهور من خروجه من بلاده البعيدة .. اتخذ قراره بالذهاب يذهب إلى غزة .. سمع عنها كثيرا أ وقرأ أكثر .. بلد تحت الحصار .. تحت الدم والموت والدمار .. بلد مرشح للموت الزؤام ..

هو يعلم أن الأعداء يخططون لذلك .. منذ خرجت غزة من تحت مظلتهم الكالحة السواد، ومنذ تحررها من أسر كوبونات المعونات المذلة، ومنذ تحولت غزة إلى ضمير حي، لا تجدي معها رشوة المال ولا المناصب ..

غزة فقط يُرْضيها أن تُرْضِي الله .. وما يرضي الله .. أن تقاوم المستبدين والطغاة والغزاة والمنافقين ..

رَفْضَ غزة للالتحاق بطابور المطبلين أثار عليها الغضب .. المنافقين والحاقدين والحكام المستبدين ..

غزة تلك الأرض الصغيرة التي تطيح بها مجرد نفخة ريح .. لكن مهلا .. الرياح لم تؤثر بها .. والعواصف تجاوزتها، وموج البحر لم يغرقها ..

لقد صب عليها رصاص اليهود صبا من كل صوب .. ولم ينل من غزة .. ولم يذل غزة .. ربما آذاها .. وطبيعي أن تتأذى غزة .. أليست تحيا بروح وجسد وأنفاس وقدر .. لكن الأذى ليس اشد على غزة من الرضا بالاحتلال وقبوله مغتصبا ثابتا لأرض فلسطين .. وليس أشد على غزة من التفريط بالقدس وبالمسجد الأقصى .. وبالحقوق الأصيلة الثابتة للفلسطينيين ..

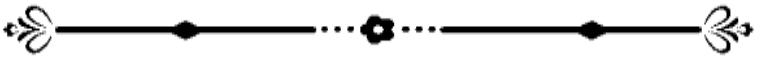

رفعت غزة رأسها عاليا .. عانقت النخيل، وطالت سماء العز والكرامة والإباء..

وهو .. جاء من البلاد البعيدة .. شُجّ رأسُه في العريش .. فسال دمُه الثائر .. ضمده بالقماش .. وأصر أكثر أن يدخل غزة . . ليكتشف السحر الذي فعلته له ولأصحابه في القافلة الشريانية .. إن لغزة سحرا، وإن لها لأمرا .. وشأنها يبدوا أعظم من أي شأن ..

يجب أن يدخل غزة ..

ليومين لم يعرف فيهما للنوم طعما .. دخل بعدهما غزة ليلا .. عند منتصف الليل ..

ومباشرة أحس بالفرق الكبير بين أن يكون في غزة .. وان يكون خارج حدودها بعيدا عن أنفاسها وعن وجوه رجالها .. دخل .. فاجتاحته حيوية فائقة مندفعة من المشاعر والوجدانيات السامية .. تخبره .. إياك وان تنام .. إياك وان تميل إلى الراحة .. وقتك محدد بالساعات قبل أن يخرجك منها الذي لم يريدوا إدخالك إليها..

سجد لله شاكرا .. كما الجميع فعلوا .. ومن حقهم أن يسجدوا لله .. فقد انتصروا أخيرا ودخلوا إلى غزة ... التي ترعب أعداءها، بصمتها وهدوئها، وبجلالها وصمودها، وبما تخبئه في أحشائها المقدسة..

وسأل باحثا في الوجوه التي يراها أمامه، تندفع نحو استقباله، تحمله على الأعناق عاليا .. سأل وعيناه تجولان في الجمع . أين أنت يا صديقي.. أين أنت يا احمد القسام .. أين أنت يا مجاهد .. لا تحملوني .. خذوني إلى هناك .. إلى الحدود .. أريد الرباط ولو ليلة واحدة معكم.. في سبيل الله . .. ألم يخبرنا رسول الله .. " رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما فيها" .. وها أنا أخيرا في أرض الرباط.. وفي لحظة الرباط.. وفي زمن الرباط .. وفي جدوى الرباط .. ومع جيش الرباط ..

أريد الرباط ..

امتدت إليه الأيادي الحانية .. أخذته من نفسه .. وقد أحاطت به كسوار يلف على المعصم، وذهب معهم.. لم يذهب لبيت ولا لفندق ولا ولا .. ذهب إلى الحدود .. إلى أقرب نقطة رباط في مواجهة العدو .. هكذا أراد منهم .. واستجابوا له..

قالوا له: أنت منا . وسترابط معنا .. نقدر مجيئك من البلاد البعيدة .. لتكون معنا ولتقف معنا وقفة عز وشرف ولو لساعات قليلة.. أنت منا .. وسترابط معنا..

كان مسرورا جدا .. طوال الليل كان معهم .. مع المجاهدين . اختلط بهم وصار كواحد منهم .. انشغل كما ينشغلون .. بالمراقبة وبتلاوة القرآن .. مد احدهم يده إليه ليعطيه شيئا .. نظر .. فرأى بضع تمرات ..أخذها بشغف ..

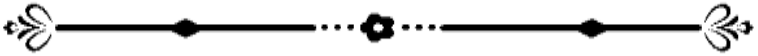

لم لا .. وهو يعرف أنها طعام المجاهدين الوحيد أيم معركة الفرقان .. أكل واحدة .. ووضع اثنتين في جيبه .. وهو ينوي أن يحملها معه إلى بلده البعيد.. لم يشعر بالتعب ولا بطول الليل .. بل كان يحلق في السماء .. يحلق بعيدا بعيدا . .إلى مجالات الحياة الحقيقية حيث الصدق والوفاء و الانصهار ..

لقد انصهر بالكامل مع تلك اللحظات الساعاتية ... إنها بالنسبة له عمره الجديد ... كان يرى نفسه وقد صار بين يدي الله يسأله فيجيب .. قد رابطت فيك يوما في غزة .. يا رب لقد رابطت فيك ليلة كاملة باردة مخيفة بعيدا عن أهلي وعن داري وعن وطني .. يا رب رابطت فيك في غزة صرت واحدا منهم .. من المجاهدين المرابطين المؤمنين المصلين ..

.....

آلاف الأميال قطعها من أجل هذه اللحظة الغالية التي لا تقدر بثمن .. شهرا كاملا فوق الطريق يسير مع القافلة بصعوباتها وطولها وألمها وأملها ... من أحل الحصول على هذه الجائزة .. جائزة الرباط في غزة .. ولو لليلة واحدة .

.....

وعند الصباح .. أراد توديعهم .. لقد انتهت المهلة المسموح له بالبقاء فيها في غزة .. حذروه من التأخير .. وإلا سيسجن مع أهل غزة ولن يسمح له بالخروج أبدا ..

نظر إلى وجوههم .. رأى النور يشع من وجوههم ومن ملامحهم ومن ثناياهم .... سألهم طلبا واحدا .. أن يتعرف عليهم .. إنها لحظة الفراق الأليمة .. شعر فيها وكأن جلده يسلخ عن جسمه .. من أنتم .. أريد أن احمل معي شيئا منكم .. ماذا ستفعلون الآن ..

نظروا إليه بحب واحترام .. نحن أخوانك وأحبائك .. نحن أنت .. كما أنت نحن .. قال قائدهم له .. ثم أشار لإخوانه فأخذوا يقدمون أنفسهم إليه ..

أنا أحمد .. طبيب، وسأتوجه إلى المستشفى لعملي،

وأنا حسين مهندس وسأتوجه إلى الشركة التي اعمل فيها،

وأنا عادل بائع خضار، وسأذهب إلى السوق، إلى بسطة الخضار لأبيع ..

وأنا إبراهيم سمكري وسأذهب إلى ورشتي الصغيرة ...

..

قال قائدهم له: أنت لن تنسانا أبدا .. لأننا لن ننساك

قال هو والعربة تتحرك: انتظروني .. سأعود إليكم ..

سأعود و.. أبقى

13/1/2010

****

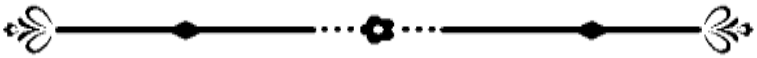

المجاهدون

كانت ذروة العدوان على غزة..
وبعد أيام كثيرة وصعبة من الانتظار الطويل . سُمِحَ للأطباء بالدخول إلى رفح..
كانوا قادمين من مصر .. ليقدموا خبراتهم وعلومهم .. ليساعدوا غزة المصابة بالعدوان اليهودي الصهيوني الأمريكي العدو،
دخلوا ليعالجوا المصابين خصوصا ذوي الإصابات الصعبة والحرجة، حيث تفتقر غزة إلى الكثير من المعرفة ومن الخبرة في المجال الطبي والاسعافي الحربي والطارئ..

دخلوا .. معبقون بالإيمان الذي يشرح الصدور ..
كان الليل حالكا جدا ..
والأرض .. تغطيها البرك المائية السطحية الموحلة بسبب الأمطار الغزيرة التي لم تنقطع منذ أيام..
جاءت الأمطار لأهل غزة بلسما وشفاء وعونا ربانيا، حيث أفشلت للعدو غاراته الهمجية، وحدّتْ من تقدم دباباته وعرباته المصفحة إلى داخل الأراضي الفلسطينية..

دخل أفراد الوفد .. بعد أسبوع كامل قضوه في العراء تحت رحمة العواصف والأمطار ..

لم يصدقوا أنفسهم . .. لقد دخلوا أخيرا..

حيث الأمور على الجانب الآخر أوحت بأنهم ربما لن يروا أرض غزة نهائيا .. وسيعودون مطأطئين إلى بيوتهم وأهليهم بعد أن ودعوهم على أمل الاستشهاد..

حاولت أجهزة الأمن ردعهم، وثني إرادتهم كي لا يدخلوا،

قالوا لهم .. ستموتون هناك . ولن تعودوا ... لن نكون مسئولين عنكم هناك .. لن نستطيع حمايتكم..

لن تستفيدوا شيئا هناك غير الإصابة بالكآبة والخوف والتعب..

ذهابكم لن يغني عن الجرحى شيئا..

سيموت أهل غزة .. سيموتون .. ولن تمنعوا موتهم..

فقط .. ستفعلون شيئا واحدا..

أن تموتوا معهم..

وردوا عليهم :... نموت معهم .. لكن .. لا نعود إلى خوفنا .. وإلى حساب الضمير ..

لقد احتسبنا أنفسنا عند الله، هو مولانا ونعم الوكيل..

لن نترك إخواننا وحدهم في غزة ..

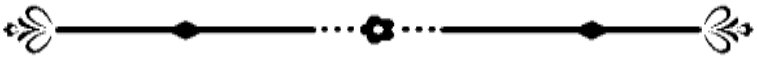

يواجهون الموت.. .

وفي أيدينا أن نخفف عنهم ونداوي بعض جروحهم..

.....

وجدوا بانتظارهم مجموعة من المجاهدين .. بالرغم من عتادهم الحربي الذي يحملون . فلم يشعر احد أبدا بأنهم كذلك

كانوا مثل الريح الطيبة.

يمشون خفافا .. ويسيرون بساطا..

جاءوا لمصاحبة الوفد الطبي على الأقدام .. فاستخدام السيارات حتى الإسعاف ... ليس آمنا . فجميع المركبات مستهدفة من طيران العدو وغربانه المتوحشة..

لم يبتعدوا كثيرا بعد خروجهم من ارض معبر رفح..

حتى وجدوا أمامهم بركة موحلة..

هنا . فوجئ المجاهدون بتوقف الوفد ... عن المسير..

تساءلوا .. ماذا جرى .. علينا المضي بسرعة قبل النهار..

فوجئوا مرة أخرى .. برئيس الوفد وهو يطلب منهم بأن يتقدموهم بالمسير

.....

لم يكن بالإمكان تجاوز البركة الموحلة إلا بالمرور عبرها..

هل انتم خائفون .. نحن معكم ..

ردوا عليهم .. لن نسير إلا بعدكم..

كادت الأفكار السوداء تعصف بالمجاهدين .. حول سبب هذا الطلب الغريب..

ولإنهاء الموقف .. تقدم المجاهدون .. اقتحموا البركة ..

وما أن تجاوزوها..

وإذا بالوفد جميعهم يرمون أنفسهم جميعا وسط البركة ..

وأكثر من ذلك، يغترفون من المياه ويرشون بها وجوههم وكأنهم يغسلونها

.....

نعم كانوا يغسلون وجوههم.. بالطين

صرخ قائد المجموعة..

ماذا تفعلون .. بربكم ماذا تفعلون ؟؟

.....

ردوا...

إننا نطهر وجوهنا ونعطرها بآثاركم الطاهرة

انتم المجاهدون حقا..

فقط نريد أن نمرغ وجوهنا في تراب خطواتكم المجاهدة..

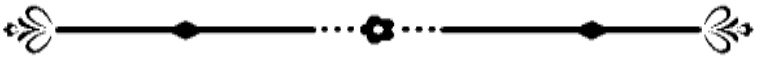

صمتوا..

الموقف يتحدث عن نفسه..

عاد المجاهدون إليهم

يقبلونهم ويحتضنونهم . وهم يقولون..

انتم لا تقلون عنا جهادا ..

ألم تحضروا رغم كل المعوقات التي وضعت أمامكم ... ألم تصبروا وتصابروا

.....

الم تأتوا من بيوتكم الآمنة البعيدة عن الحرب وعن نذر الخراب والموت..

وقدمتم إلينا .. حيث نذر الموت والدمار والدم تحيطنا .. وتحوم فوقنا..

ألم تحضروا لتقدموا لنا خبراتكم ومهاراتكم وتسخروها لتخففوا آلام جرحانا ومصابينا..

انتم لا تقلون عنا جهادا

وقد تركتم المال والأهل والولد..

هل بعد ذلك جهاد في سبيل الله

انتم المجاهدون حقا

انتم المجاهدون والله..

.....

تلاحمت أياديهم وتعانقت قلوبهم

ومشوا بخطواتهم المؤمنة

إلى الأمام ...

معا

يخيل لمن يراهم من بعيد وكأنهم أقمار تضيء وسط الظلام.

****

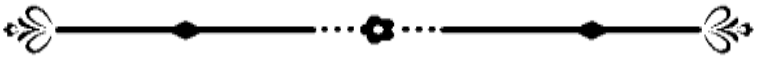

النقيب

النقيب عادل..

وحده فقط انتظر .. داخل الأرشيف المركزي الكبير، في السرايا الحكومية في غزة ... بعد أن أعطى تعليمات واضحة للجميع بالمغادرة فورا، وبعد ساعات قليلة من بدء العدوان الصهيوني على غزة في الخامس من حزيران من العام **1967**، فقد كان واضحا أمامه أن الأمور تسير في اتجاه معاكس تماما لما تروج له إذاعة "صوت العرب" بشان تحقيق انتصارات كبرى للجيش والطيران المصري على قوات العدو الصهيوني المهاجمة..

كل الدلائل السيئة كانت تأتي وحدها .. فالقوات المصرية في القطاع انسحبت فور بدء العدوان، نجاة بأنفسهم من مصير مجهول، حيث أوامر المواجهة والقتال لم تصلهم بعد، خصوصا أن معظم ضباطهم لم يلتحقوا بعد بمواقعهم، ليكونوا معهم، يقودونهم ويوجهونهم .. حتى الحاكم العام المصري نفسه . . أصيب بالشلل النفسي التام .. وأصبح غير قادر على استيعاب الموقف ولا التحكم فيه، وفي نفس الوقت لا يستطيع أن يتخذ موقفا محددا إزاء صد الهجوم الصهيوني الكاسح على غزة ..

النقيب عادل وحده .. ظل ينتظر داخل الأرشيف الأمني الفلسطيني .. الذي يحتوي على جميع الملفات الخاصة بالعمل المخابراتي والجنائي والوطني والسياسي .. وكل ما يتعلق بكل قضية أيا كان نوعها بما تتضمنه من أحداث وأشخاص داخل قطاع غزة..

الأرشيف .. الذي يعتبر ثروة أمنية عظيمة، تمثل خطراً محدقا رهيبا لو وقعت بأيدٍ لا تحسن استخدامها أو تستخدمها لأهداف لا تمت للعدالة والوطنية والشرف .. لأجل ذلك لا يجب أبدا لهذه الثروة أن تقع بيد اليهود .. الذين بات يشعر بهم وقد أصبحوا قريبين من فرض سيطرتهم العسكرية على مدينة غزة، واحتلالها بالكامل .. ومن ثم السيطرة على مبني سرايا الحكومة .. حيث مركز الحكم وأجهزته في غزة..

وبالرغم من كونه يملك من السلطات الكثير التي تمكنه من التحرك بحرية وبمسئولية، من واقع منصبه باعتباره الرجل الأمني الأول في قطاع غزة بعد الحاكم المصري .... لكن ما يختص بالأرشيف فقد كان له شأن آخر .. فقد رفض الحاكم العام المصري ما عرضه عليه بشأنه قبل أيام .. وأصدر أمرا مباشرا .. ألا يُمَسّ هذا الأرشيف بأي حال من الأحوال..

الأخبار الميدانية .. تحمل الأسوأ من لحظة وأخرى .. وكلها غير مبشرة .. مما دفعه لإغلاق جهاز الراديو الذي يستمع منه إلى "صوت العرب".. الذي ظل

يبشر بتدمير تل أبيب.. من خلال إعلاناته المتوالية عن الانتصارات الزائفة لسلاح الجو المصري . .الذي استطاع إسقاط أكثر من سبعين طائرة صهيونية .. حتى الآن .. ؟!!! وهو يرى أن ما يجري فوق أرض الواقع ينذره باقتراب الحدث الجلل!!..

بالنسبة للنقيب عادل .. الأمر لا يحتمل المغامرة . .لأنها قد تعني المقامرة بمصير رجالات فلسطين في غزة .. نعم مصيرهم .. فالعدو لن يألو جهدا حتى يقوم باعتقالهم أو استغلالهم وابتزازهم .. لمنعهم من القيام بأي أنشطة تهدد وجودهم الاحتلالي في غزة..

في الأرشيف الأمني توجد الأحداث والأسماء والعناوين .. وتوجد فيه التفاصيل السرية بل الأكثر سرية خصوصا حول العمل الوطني الفلسطيني وكل ما يتعلق به من تجمعات وتحركات وانتماءات حزبية ودينية ومقاومة و.. كل شيء..

ماذا يعني ذلك..

إنه يعني شيئا واحدا فقط .. هكذا فكر النقيب عادل..

شيء واحد فقط وهو الذي يهمه الآن .. ويهتم له

ألا يحصل العدو على هذا الأرشيف أبدا .. أبدا وبأي وسيلة وبأي ثمن .. حتى لو قضى شهيدا دفاعا عنه ..

نعم يجب منع اليهود من الاستيلاء عليه كغنيمة سهلة لا تقدر بثمن .. ولا مجال الآن للحيرة ولا التردد في هذا الأمر ..

لكن أوامر الحاكم المصري جاءت إليه مباشرة وواضحة .. بالحفاظ على الأرشيف ومحتوياته .. وبأي ثمن..

كيف يحافظ عليه .. كيف يحميه وأين يخبئه .. لا سبيل لذلك أبدا .. فالموقف يزداد صعوبة وكل دقيقة تمر تحمل أخبارا أكثر سوءا من التي قبلها .. ولا وقت .. بل ولا رجال يمكن لهم أن ينقلوه أو يدفنوه ..أو يخفوه في مكان آمن بعيدا عن السرايا.

غزة الآن في معظمها تعد ساقطة فعليا بيد العدو .. حقا لم تدخلها قواته بعد .. فالدخول ليس مشكلة أبدا .. إنها مسالة وقت .. فالطرق كلها مفتوحة أمام قواته المهاجمة المتوغلة بدون توقف باتجاه إتمام احتلالهم للمدينة خلال ساعات فقط . . فقد انسحبت القوات المصرية من مواقعها المتقدمة على الحدود في مواجهة العدو الصهيوني .. وتفرقت قوات جيش التحرير الفلسطيني ورجال المقاومة المحليين في محاولة للم شتاتهم المبعثرة .. وفي كل الأحوال .. أصبحت غير فاعلة .. لأنها لم تعد قادرة على صد العدوان ..

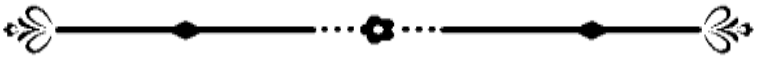

الأرشيف يجب ألا يسقط في يد العدو .. لا يجوز أبدا حدوث ذلك .. يجب أن يبحث عن أفضل وسيلة تمنع العدو من السيطرة عليه أو الاستفادة مما يحتويه من ذخائر المعلومات الأمنية..

الوقت يجري .. والعدو يقترب..

و... الحاكم المصري .. لم يعد موجودا .. لقد غادر .. ولا أحد يعلم إلى أين ..لكن الخبر المؤكد انه قد غادر .. هربا ... باتجاه الجنوب..

إذن .. المسئول الأول لم يعد موجودا .. لقد غادر مكانه .. وتخلى بذلك عن صلاحياته ومسئولياته تجاه غزة وشعب غزة..

لقد غادر الحاكم المسئول..

وبالنسبة للنقيب عادل فهي فرصته لاتخاذ القرار الصائب .. حيث بإمكانه الآن التصرف كفلسطيني حر .. كامل الإرادة .. لقد غادر الحاكم .. حاملا معه أمره بالحفاظ على الأرشيف وحمايته بأي وسيلة ومطلقا في نفس الوقت القيود التي تهين الرجال الأوفياء بقسوة سطوتها المهينة .. وأصبح هو صاحب الأمر الوحيد والقرار المنتظر..

وهو لن يحمي الأرشيف .. فعليه هو النقيب عادل أن يحمي شعبه ووطنه وان يصون أسراره ومجاهيله .. واجبه الأول التأكد أن الأرشيف لن يصل لأيدي اليهود .. وأنهم لن يتعرفوا أبدا على أي معلومة كانت فيه..

الصورة تتضح أكثر بين لحظة وأخرى .. والتصرف يجب أن يكون سريعا وحاسما . . وهو يدرك أن مبني السرايا الحكومي سيكون الهدف الأول الذي يضع اليهود أقدامه فيه .. لأنهم يعلمون أن قيادة قطاع غزة وشئونها كلها، تنطلق من هذا الموقع الحيوي..

الأخبار تتسارع . قوات العدو دخلت حدود المدينة .. وهم يتقدمون ببطء وثبات .. لقد أكملوا سيطرتهم على شرقي غزة .. ويتحركون الآن نحو قلبها .....

نحو قلبها ..

والقلب هو .. السرايا..

لم يعد مجال للتردد ..لقد أعد كل شيء مسبقا قبل أن يأتي صباحا للأرشيف ويستقر فيه..

اتخذ القرار صورته النهائية في رأسه..

وبقي التنفيذ .. فليفعلها إذن..

و... بدأ يفتح جالونات الكاز والبنزين .. ودار داخل الأرشيف يصبهما في كل مكان وفي جميع الغرف الخاصة به .. يريد أن ينتهي الأمر فورا .. لا يجب أن يظل ملف واحد حيا يمكن الاستفادة منه من قبل العدو..

الحريق يجب أن يكون كبيرا وشاملا وقاضيا وسريعا ومتأججا جدا..

ليقضي على كل معلومة..

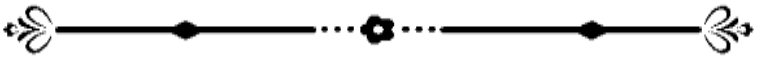

عشر جالونات كاملة صبها وحده .. لم يكن معه أحد .. لقد صرفهم جميعا .. وبقي وحده .. لينفذ مهمته الأخيرة في حماية شعبه ووطنه..

ومن بعيد أطلق رصاصات مسدسه على الأرشيف ..

واندلعت النار..

واحترق الأرشيف كله .. لم يبق اثر لملف واحد ..

عندما وصل إلى بيته .. حمد الله كثيرا .. فقد استطاع في اللحظات الأخيرة أن ينجز عملا ..

لقد دمر تاريخا كاملا من عمل الأمن..

وبالرغم من ذلك فإنه يشعر بالراحة الآن..

فقد كتب الآن السطر الأول في التاريخ الجديد لغزة..

7/3/2010

****

خيانة صغيرة

توالت المكالمات الهاتفية على مسلم بن سالم المسلم، من ضابط المخابرات الصهيونية أبو خليل، والذي في كل مرة يبدي له تعاطفه مع حالته المتردية بسبب الفقر وقلة العمل وكثرة الأولاد ومطالب الحياة وشرب الدخان الذي لا يستطيع مفارقته..

وفي كل مرة كان يصده وبقوة .. لكن..

يبدو أن العادة قد أثمرت نتائجها، تماما كما أراد أبو خليل .. أن يتحول الأمر إلى قبول للاستماع ثم للحوار .. بحكم التعود بالتكرار..

وجدت الألفة طريقها لتغرس في وجدانه .. وتولد لديه الإحساس بأنه ليس هناك ما يخشى فعله .. وفي نهاية الأمر فما يجري مجرد كلام في كلام .. وأبو خليل لم يطلب منه شيئا حتى الآن ..وإذا طلب فلن يقبل وسيقفل الهاتف في وجهه ولن يكلمه أبدا..

هكذا بدا له الأمر وفسره لنفسه، أن بإمكانه معاقبة رجل المخابرات لو تجاوز حده .. أو حاول استدراجه ليعمل معهم، فالخيوط بيده وحده، ولا يوجد ما يمنع مواصلة اللعب معه..

لقد وثق بنفسه كثيرا .. وتجاوز بذلك المحاذير والمحظور .. وفقد حاسة الإنذار بالخطر .. رغم التجارب المشهورة للعديد ممن سقطوا بتهاونهم في براثن العمالة لصالح العدو الصهيوني..

لم يلاحظ مسلم بن سالم المسلم أن أبو خليل في جميع مكالماته، حرص أن يكلمه حينما يكون فوق سطح منزله، حيث الفضاء الواسع، وحيث ... أسطح الجيران مكشوفة أمامه..

في إحدى المكالمات .. أخذ أبو خليل يناجي الطبيعة وجمالها، وكيف أن الحياة حلوة ... وبدأ يصف ما حوله من مناظر خلابة .. فهذه حديقة وكأنها غابة خضراء .. وهذه شوارع واسعة تسير عليها العربات من كل شكل ونوع .. وهذه العمارات حوله وجيرانه المكشوفون أمامه .. وكيف يعيشون .. ثم حدثه عن تلك المرأة الشابة التي تقوم بنشر غسيلها في شرفة شقتها أمامه وأندفع في وصف تفاصيل جسدها الشبه عار ..

ثم سأله: ماذا عن الجو عندك.. مسلم، ما هو المنظر الذي تراه الآن ويعجبك..

مسلم بن سالم المسلم وقد انساق تماما لحديثه: أنت تعرف .. بيوتنا عادية، نعيش حياتنا كما تعودنا ببساطة ودون تعقيد، هناك بعض الناس يسيرون في الشارع، وبعض الأطفال يلعبون ويتسابقون فيما بينهم، وهناك بائع الحليب المتجول الذي نشتري منه أحيانا اللبن والجبن..

أبو خليل: جميلة جدا حياتكم .. انتم محظوظون فيها، لا تعانون من التعقيدات الكثيرة التي تقيدنا في كل شيء، ليتني أعيش مثلكم .. كم أحب طريقة عيشكم..

مسلم بن سالم المسلم: أنت تتمنى حياتنا . غير معقول .. لا أحسبك إلا ساخرا، مستهزئا .. فغير معقول .. بمالكم وقوتكم، وبما تملكون.. تتمنون العيش مثلنا!..

أبو خليل: وماذا في ذلك، لن أكذب عليك .. أشعر أنك صديق حميم لي .. بل أنت كذلك فعلا..

مسلم بن سالم المسلم: أشكر مشاعرك التي تحملها نحوي .. ليتك تصدق..

أبو خليل: لا مسلم .. مشاعري حقيقية وعليك أن تصدقني، المهم .. احك لي .. ماذا عن جيرانك . هل يمارسون حياتهم مثلك، هل يصعدون على سطوح منازلهم .. وهل ينشرون غسيلهم فوق السطح مثلك..

مسلم بن سالم المسلم: نعم .. كلنا مثل عائلة واحدة .. حتى أننا نتشارك الكثير من المناسبات ونتبادل الزيارات .. نحن قريبون جدا من بعضنا البعض..

أبو خليل: معقول .. طيب أخبرني ماذا ترى في حبل غسيل جارك الأيمن..

مسلم بن سالم المسلم: لا شيء ... يبدو أن أم محمد لم تغسل اليوم

أبو خليل: وماذا عن غسيل جيرانك في البيت الذي أمامك ..

مسلم بن سالم المسلم: يبدو أن أم صالح قد غسلت اليوم .. حبلها مزدحم بملابس أطفالها الصغار .. مسكينة إنها تتعب معهم كثيرا..

وهكذا كانت الأحاديث تسير وتتطور، بين أبو خليل وبين مسلم بن سالم المسلم.. والألفة بينهما تزداد دفئا والعلاقة تصبح أكثر حميمية .. حتى أن مسلم وصل لدرجة إدمانه لصاحبه أبو خليل..

حتى جاءت آخر مكالمة، والتي سارت على نفس المنوال.. حتى وصلوا إلى الحديث عن غسيل الجيران الذي أصبح موضوعا شيقا يتبادلونه بحرارة، ممزوجا ببعض النكات والغمزات المثيرة التي يضحكان خلالها كثيرا..

أبو خليل: ها . وماذا عن غسيل جارتك أم صالح .. أما زال أولادها يتعبونها ..

مسلم بن سالم المسلم: يعني .. ماذا سيتغير لديها .. حالها هو هو .. لكن انتظر .. أرى اليوم على حبلها غسيلا مختلفا..

أبو خليل: مختلف .. ماذا تقصد بذلك

مسلم بن سالم المسلم: أرى ملابس رجل منشورة على الحبل، الظاهر زوجها رجع من سفره... الظاهر مبسوطة اليوم..

أبو خليل: ملابس رجل كبير ... معقول زوجها رجع .. مسكينة، خليها تشوف حالها شوية قُدّام نسوة الشارع..

مسلم بن سالم المسلم: مش غلط .. خليها تشوف حالها و..

قاطعه أبو خليل: اسمع نسيت حاجة مهمة، أنا علشان أساعدك، أرسلت لك هدية صغيرة .. شوية فلوس ..، إحنا أصحاب ولازم أقف معك في أزمتك ..

مسلم: هدية .. لماذا تتعب نفسك، أنا لا أريد شيئا..

قاطعه أبو خليل: اسمع الرجل الذي معه الهدية موجود الآن في المقهى في آخر الشارع .. اسمه أبو ناصر .. إنه ينتظرك .. من الضروري أن تذهب إليه فورا، وخلال ثلاثة دقائق .. إنه مرتبط بعمل ومستعجل.. ولن ينتظر أكثر من ثلاثة دقائق..

مع السلامة، سأهاتفك غدا..

.....

لم يكد مسلم يصل المقهى، حتى شعر بالأرض تهتز من تحته، إثر انفجار شديد حدث في وسط الشارع ..

نظر خلفه .. شاهد دمارا واسعا، وغبارا يملأ السماء قرب منزله .. أخذته الصدمة .. وعاد مسرعا ليرى منزله .. وليعرف ماذا حدث..

عندما وصل .. حلت به الجفلة .. لقد رأى وسمع .. ويا لهول ما رأى ويا لفظاعة ما سمع .. رأى بيت جارته أم صالح وقد سوي بالأرض نتيجة الانفجار، أما ما سمعه فقد كان الأشد عليه والأقسى .. لقد ماتت أم صالح

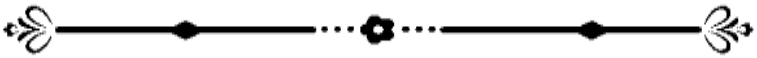

ومن معها من أطفالها .. ومات أيضا زوجها الغائب .. الذي لم يعرفه يوما ولا يعرف عنه شيئا..

الآن فقط عرف من هو .. والناس يتكلمون عنه، لقد كان مجاهدا عنيدا يقاوم قوات الاحتلال .. وكان قائدا عسكريا لا يشق له غبار.. حاول العدو الصهيوني اغتياله أكثر من مرة ... اليوم أصابوه .. اليوم أصابوه..

وبينما هو يجري ويصرخ .. سمع رنين هاتفه النقال .. لقد كان صاحبه .. سمعه وهو يقول: شكرا لك يا مسلم .. دولة إسرائيل كلها تشكرك، لقد ساعدتنا اليوم في التخلص من أشد أعدائنا..

لم يصدق أنه هو السبب، ولم يتحمل أن يكون هو الوسيلة .. أصابه الذهول.. ترك هاتفه يسقط بجواره معه على الأرض .. يعفر وجهه بترابها..

****

مَلِكٌ لا ينام

2011/12/9

جاءوا إليه من بعيد .. البعيد ..

أخذوه إلى بعيد.. البعيد ..

حاصروه من كل اتجاه، راقبوه كي لا يغيب عن أبصارهم وأسماعهم، ووضعوا الحراس أمام وخلف كل باب حتى لا يغادر أوهامهم، وكي لا يقنص منهم وضع ارتخاء، فيفلت منهم عائدا نحو الأرض البعيدة .. ولا يعود ..

كان ما يزال في حالة من الضعف والإرتباك، خائفا مما لا يعرفه، غاضبا من خاطفيه .. أعضاؤه تصطك ببعضها، تكاد تفشي سرّها من الارتعاش المكبوت بانتظار القادم المجهول .

سألهم: لماذا اختطفتموني وتحاصرونني .. ماذا تريدون مني .. لا أعرفكم، لأول مرة أشاهدكم ..

قالوا: لم نخطفك ..بل استرجعناك، اسمك مكتوب في صفحات تاريخنا الآتي..

نريدك.. انتظرناك طويلا .. منذ ولدت ونحن ننتظر قدومك .. لنبدأ مشروع الحياة ..

قال: انتظرتم قدومي .. ومنذ ولادتي ؟! أمر عجيب .. لا يصدق ... لماذا ؟؟

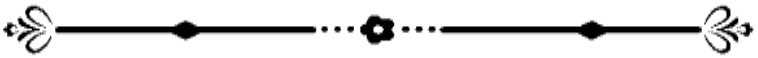

قالوا: أنت المنتظر

قال: المنتظر.. أي منتظر تنعون .. غرباء كنتم عني، وغريب أنا عنكم ..!

قالوا: بل أنت منا، أنت الملك .. ملكنا الجديد .. ملك الأرض والشمس والقمر المنير

قال: منكم ..! الملك الجديد..! الشمس .. القمر .. ملك لمن، وكيف، ولماذا، وأين؟؟؟؟؟ لست أراكم سوى مجموعة من قطاع الطريق ..! ولم أكن قاطع طريق ولن أكون ..

قالوا: ملكنا .. نحن شعبك المنتظر، يا ملكنا الوحيد.. قل ما تشاء .. لن نحاسبك .. من حقك أن تقول ما تشاء .. أن تنهرنا.. تضربنا.. وتصفنا بأسوأ صفات العبيد

قال: مخطئون .. لست ملكا.. لا لكم ولا لغيركم، لم أكن ملكا من قبل، ولا أظنني سأكون ..

قالوا: بل أنت هو، قد عرفناك، نحن لا نخطئ أبدا قراءة صفحات مستقبلنا الأكيد، أنت المختار من دون العالمين .. وبوابتنا للوحدة والنصر على أعدائنا المتربصين ..

قال: المختار، الملك .. لا تخطئون .. من تكونون .. لم أسمع أغرب من هذا الهراء من قبل ..

قالوا: نحن شعبك المنتظر

قال: شعبي .. تضحكونني كثيرا، أنا مجرد مواطن كأي مواطن، ومتيقن أنني لست ملككم المنتظر، لا يمكن أن أكون أنا، ابحثوا عن غيري.. دعوني أكمل رحلتي في الحياة .. وحدي ..

قالوا: لقد اخترناك .. لا مناص من ذلك.. أنت الملك .. وغير ذلك دونه .. الموت

قال: الموت دون ذلك !.. لكنني لست الملك .. لا أريد أن أصبح الملك .. لا أصلح لهذا المنصب، اختاروا أحدا منكم .. لماذا لا يكون أحدكم الملك..؟

قالوا: لا يوجد من يرفض هذا العرض .. ستكون الملك .. وسنمنحك ما تريد ..

قال: تمنحونني ما أريد .. وهل تقدرون على ما أريد

قالوا: نعم ..

قال: هل سآمن على نفسي

قالوا: نعم

قال: هل سأجد العلاج لو مرضت

قالوا: نعم

قال: هل ستدافعون عني لو هوجمت من قبل الأعداء

قالوا: نعم

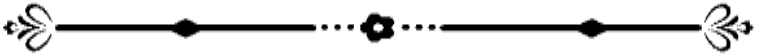

قال: هل سيكون لدي مال وفير، وقصر، وبساتين، وخدم وحشم ووزراء وقادة و ..

قالوا: نعم .. واكثر من ذلك .. ومهما طلبت سيكون لك .. فأنت الملك ..

قال: أنا الملك .. هه هه .. فهل أستطيع النوم عندما أحتاج

قالوا: نعم

قال: اذن أريد النوم الآن .. أحتاج للنوم .. غدا أكملوا حديثكم الغريب ..

قالوا: لك ما تشاء، نم.. واسترح يا ملكنا الهمام، في الصباح ستجدنا أمامك ننتظر ..

.....

في الصباح

دخلوا عليه في غرفته، وجدوه شاحب الوجه، متقلص الشفتين، يفرك عينيه بكفيّ يديه معا، وبدا وكأنه لم ينم أبدا .. زائغ .. منكمش .. محتار ..

قالوا: ما بال مولانا الملك العظيم

قال: العظيم . أتهزؤون مني أيها الناس، لن أكون الملك.. أرفض وبشدة

قالوا: ما بال مولانا الملك .. لقد اتفقنا على كل شيء قبل أن تنام ..

قال: ها .. قلتموها بأنفسكم .. قبل أن أنام ... فلتعلموا إذن بأنني لم أنم ولو لثانية واحدة .. وبالتالي فالاتفاق لم يسر بعد .. ثم لم يكن بيننا اتفاق .. فقط مجرد أسئلة وأجوبة ..

قالوا: لو رفضت العمر كله لن نسمع لك .. قد حسمنا الأمر منذ الأمس .. منذ اللحظة التي سمحت لنا فيها بحصارك دون أن تهرب أو تحاول الفرار ..

قال: اسمعوني جيدا .. ألم تقولوا أنني أستطيع فعل ما أريد

قالوا: نعم

قال: ألم تقولوا أن أوامري ستنفذ في التو واللحظة

قالوا: نعم

قال: ألم تقولوا أنني سأكون آمنا

قالوا: نعم

قال: ألم تقولوا أنني أستطيع النوم في الوقت الذي أريد وعندما أحتاج

قالوا: نعم

قال: إذن لن أكون الملك أبدا

قالوا: بل ستكون

قال: لم أنم الليل بطوله، لم أستطع النوم، لم أُنَصَبْ رسميا بعد .. ومع ذلك لم أنم .. بل لم تغمض عيناي ولو لثانية واحدة .. طوال الوقت وأنا أفكر .. أفكر .. كيف أدبر، وكيف أخطط، وكيف أجمع المال، وكم سأجمع .. وكيف أحكم وأقرر .. وكيف .. وكيف .. الكثير من الأسئلة التي زادت همي وأثقلت على نفسي .. حتى كدت أختنق وأموت .. فأنا لا أعرفكم .. من أنتم؟

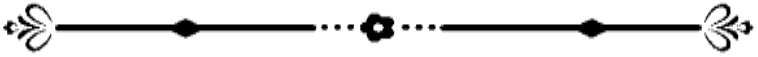

قالوا: نحن مستشاريك وأعوانك وأدواتك ..

قال: آه..ها .. مستشاريّ وأعواني .. وهل من وظيفتكم أن تكذبوا وتزيفوا الحقائق، وهل من وظيفتكم أن تبدلوا الوقائع ..

قالوا: لمصلحتك ولمصلحة مملكتنا المنتظرة .. مملكة القوة والعظمة .. مملكة الضياء والسيطرة ..

قال: وما علاقتي بذلك .. افعلوا ما شئتم .. بعيدا عني ..

قالوا: لن ينفع .. أنت فقط الوحيد، بوجودك ملكا لبلدنا تولد مملكتنا الكبرى ..

قال: لم .. وكيف .. أريد أن أفهم .. يجب أن أعرف السر الذي تعلمونه

قالوا: اسمع .. أوصافك واسمك مكتوبة في كتبنا .. فيك قوة كبرى كامنة، بها نملك الدنيا كلها ..

قال: أملك قوة كامنة وأنا لا أعرف..!، ولا أشعر بها، لا أذكر أنني فعلت شيئا مميزا في حياتي، أو غير طبيعي.. عشت كأي مواطن عادي ..

قالوا: قوتك بداخلك، ستظهر فقط .. إذا أصبحت الملك، شرط قوتك أن تكون الملك،

قال: إذن هذا هو السر .. القوة التي تعتقدون أنني أملكها، وتستطيعون من خلالها فرض سيطرتكم على العالم كله .. أنا قوتكم .. وحلمكم ومستقبلكم ..وماذا عني .. ألم تفكروا بي ..

قالوا: فكرنا فيك، ووجدنا أنك المستفيد الأول والأكبر، ستكون الملك، وستكون أقوى رجل في العالم، وستكون حاكم العالم كله .. لن يصمد عدو أمامك .. سينهزم الأعداء جميعا .. بل سيموتون ..

قال: لكن .. لا يعجبني ذلك .. لأنني سأكون الطاغية الجبار القاتل الذي يحكم الناس بالإكراه لا بالحب، يحكمهم بالحديد والنار لا بالرفاه والخير والعلم والبناء والحضارة ..

قالوا: لا يهم . .ما دمنا سنكون نحن حكام العالم

قال: إذن هذا ما تسعون إليه، إنها نتيجة مرعبة .. سأصنع أعداء لي .. وساكون عدوا في نظر الكثيرين .. ممن لا يعجبون بسيرتي .. بسبب الظلم السهو الذي طالهم من قبلي كملك .. وفي هذه الحالة .. الملك الظالم الطاغية المستبد الدموي ..

اسمعوا ..ارفض أن أصبح ظالما .. يظلم ويقهر رعيتة،

هذا موقف لا أحب أن أصبح فيه، ومآل اتمنى ألا أصل إليه،

لم أظلم أحدا في حياتي، لن أرضى بتغيير ذلك، ولو كان الثمن أن أكون ملك العالم، الذي يخشاه الجميع، ويدينون له بالطاعة والولاء ..

قالوا: لن تخش شيئا، سنكون معك، نراقبك، ونساعدك، ونقدم النصح لك..

قال: وهنا مكمن الخشية .. أنتم .. لا أعرفكم .. لا أعلم طريقتكم في التفكير، ولا ماذا تريدون، بعد أن عرفت هدفكم من أن اكون الملك،

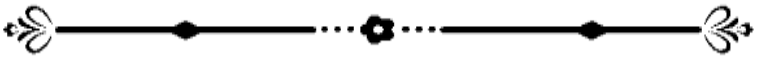

وعندكم من هو افضل مني.. ماذا تدبرون من أجلي .. او من أجلكم .. هل تدبرون لأكون الضحية والقربان أمام الناس ثمنا لما تريدون أنتم ..

قالوا: الجدال لا يفيد، ولن يمكنك الفكاك من هذا الأمر، ستفعل ما نريده منك تماما..

قال: لن أفعل .. دعوني أذهب في طريقي.. أحتاج إلى النوم وضميري مرتاح..

قالوا: ستنام، ستعوض كل شيء، سنهيئ المكان لتنام كما تشاء وكيف شئت .. لكن ليس قبل قبولك لما نريد ..

قال: اسمعوني جيدا .. لم أنم قبل أول يوم، فهل سأنام في أول يوم .. أو بعد أول يوم ..؟ لا لن أكون أبدا الملك

قالوا: ستكون، وليس لك الخيار في ذلك.. لقد قررنا وليس عليك إلا القبول

قال: المُلْك الذي يمنعني من النوم أرفضه، أريد أن أنام .. أحتاج للنوم أيها الناس ..

قالوا: ستنام كثيرا .. الملوك قبلك ناموا .. وستنام مثلهم

قال: لست مثلهم، ولن أصبح مثلهم ..

الملك الحقيقي لا ينام .. نام غيري .. لأنهم لم يكونوا ملوكا .. الملوك الحقيقيون لا يسمحون لأنفسهم بالراحة، لا يملكون نفوسهم، جُلّ وقتهم يقضونه في تدبير شئون البلاد والرعية، اهتمامهم أن ينشروا العدل والأمل

بين الناس .. أن يفكروا، ويدبروا، ويبحثوا، ويحكموا بالحق، وأن يساووا بين الناس ..

الملك الحقيقي يبني الحدائق والمدارس لا السجون والمنافي.. يزرع الأشجار المثمرة لا الحقد والخوف.. يعمر الأرض بالحياة لا يخربها ويحولها إلى أطلال ومقابر ..،

قالوا: عليك قبول ذلك وافعل ما شئت وتهوى، أو ..؟

قال: أو ماذا .. لن يجدي تهديدكم .. لأنكم أول من سيمنعني من فعل ما أريد ... أنتم تعبدون طقوسكم التي اخترعتموها .. ترفضون رؤية الشمس التي تفضح مآربكم السرية في التحكم ..

لن أكون الستار الذي تختفون خلفه وأنتم تمارسون طقوسكم الغيبية..

قالوا: أن تُسْجَن، وأن تُصْلب، وأن تُرْمي لوحوش الفلا تنهشك..

قال: ذلك أفضل لي، على الأقل سأتوقف عن الترحال، وسيغلق عليّ لحدٌ ما ..

قالوا: سنقدمك قربانا لصحراء الضياع ..

قال: افعلوا ما شئتم، أرفض أن أبحث عن لحظة للنوم فلا أجدها .. أريد أن أنام .. في الوقت الذي أحتاج فيه أن أنام.. مُلْكَكُم لا يساوي ثانية واحدة اكون فيها مِلْك نفسي .. ومَلِكاً على نفسي .. يكفيني أن أكون ملكا على نفسي فقط، وليتني أستطيع....

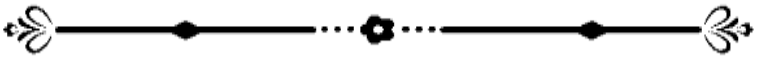

رضوخي لكم يعني حرماني من حريتي في التصرف بنفسي .. ولن أفرط أبدا بحرية قراري بشأن حياتي، وما يخصني ..
يهمني أن أجد نفسي أولا ..لا أن تجدوني ..

****

حب كبير

كان طالبا في السنة النهائية في كلية الحقوق في جامعة عين شمس، شقته تقع في الدور الثالث للعمارة التي يسكن بها بالإيجار مع طالبين آخرين من بلده .. فلسطين ..

تعود أن يذاكر دروسه في الشرفة المطلة على الشارع الرئيسي ..
ويوما وراء يوم لاحظ أن فتاة في العمارة المقابلة تنظر إليه طالما هو جالس في الشرفة للمذاكرة ..
ويوما وراء يوم كانت ابتسامتها تصل إليه وتدخل أعماقه ...
تحرك قلبه .. وأحبها ..
اتخذ من ابتسامتها الحافز الذي يدفعه للاجتهاد أكثر وأكثر ..

في نهاية العام جاء ترتيبه الأول على دفعته كلها .. قفزة لم يتوقعها .. من مستوى طالب عادي إلى طالب متفوق يطلب العلا .. ابتسامتها .. يشعر بها تسري حرارتها في جوارحه .. تمنحه الأمل كل يوم .. وكان يبادلها الابتسامة الصامتة والنظرات العميقة .. لم يحاول أبدا أن يشير إليها أو يرسل التحية لها ..

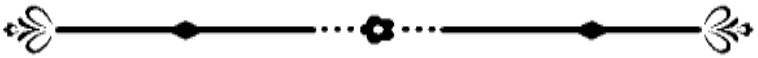

حبها منحه الثقة في نفسه .. مع مضي الأيام كبر حبها .. تعود عليها .. ولم يعد يستطيع المذاكرة إلا إذا رأى ابتسامتها الفائقة العذوبة ..

الآن .. نجح بتفوق .. فكر أن يطرق بابها .. أن يقول لها شكرا .. أن يقدم احترامه وحبه .. لقد كانت السبب في نجاحه ..

ولكن مهلا .. وضعه لا يسمح بأي خطوة مؤثرة مثل هذه .. فهو غريب ..وفقير في نفس الوقت ... سيؤجل طرق بابها إلى وقت آخر .. حيث يكون صاحب القرار الوحيد ..

.....

مضت سنوات سبع .. سافر فيها إلى فرنسا .. حيث درس وحصل على شهادة الماجستير وبعدها على شهادة الدكتوراه ..

وعاد أخيرا ..

عاد إلى الشارع الذي تسكن فيه حبيبته ..

يتذكر رقم شقتها ..

بثقة طرق الباب ...

انتظر قليلا .. قبل أن يفتح له الباب رجل بدا أنه تجاوز الستين من عمره ..

قدم إليه نفسه ..

دكتور أحمد .. جئتك خاطبا ..

فغر الرجل فاه بدهشة ..

خاطبا .. ؟!!

أجابه بثقة : نعم ..

دعاه إلى الدخول ... احتفى به .. واستمع منه وهو يحدثه عن نفسه ..

وقبل أن ينتهي من حديثه ..

قال الرجل ... لكن لا يوجد لدي بنات للزواج ..

قال د. أحمد ..: كيف ؟؟ كنت أراها دائما وهي تجلس على الشرفة المقابلة لشرفتي قبل سنوات ..

ولقد تأكدت بالأمس أنها مقيمة هنا ..

هنا .. استأذن الرجل ضيفة قليلا من الوقت ..

.....

عندما عاد كان برفقته فتاة ..تمشي بجواره ملتصقة به ..

قال له: هل هي هذه .. هذه ابنتي الوحيدة وليس لي إبنة غيرها

وقف د. احمد فرحا وقد رآها ..: نعم هي هي .. أريد الزواج منها ..

أجاب الأب: تتزوجها .. هل تعرف عنها كل شيء.. وهل أنت واثق بأنك فعلا تريدها

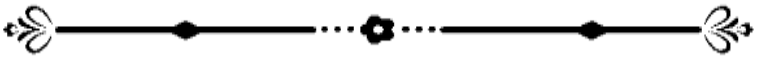

د.احمد بثقة أكبر: نعم لقد عدت إليها خصيصا من بلاد الغربة .. عدت إليها لأنها لم تفارقني طوال السنين التي باعدت بيننا ..

الأب: لكنها قد لا تصلح لك ..

د. احمد أنا مصمم على الزواج منها

الأب: لكنها لا ترى .. إنها عمياء

د. احمد بدون تردد: بابتسامتها أنارت لي طريق الحياة.. وبها أعطتني الأمل.. ومن أجلها جاهدت واجتهدت في مواصلة تعليمي .. لأكون كفؤا لها ..لأكون لها الزوج الذي يفخر ويحب.

الأب: غير مصدق ..أنت جاد إذن

د. احمد: نعم والآن يجب انجاز كل شيء

الأب: ماذا أقول .. على بركة الله

****

سيف القدس

أبي اشتر لي سيفا
من فضلك يكون حاداً قوياً فتاكاً، لا ينكسر
هكذا طلب الابن من أبيه وهو يرى السيوف الملونة أمامه معروضة في محلات بيع الألعاب..
ابتسم الأب..
ودخل المحل ليشتر سيفاً
أخذ يُقَلِبَ السيوفَ المُعَلَقَة المُغْرِية بأشكالِها وألوانِها وأحجامِها المختلفة
قدم واحداً لابنه: ما رأيك بهذا السيف .. أنظر كم هو جميل ورائع
أمسك الابن بالسيف، قَلَّبَه بين يديه، ثم قال غاضباً وهو يرميه على الأرض
لا .. لا أريد هذا السيف
إنه مزيف وضعيف ولا يصلح للقتال والمبارزة
إنه غير حقيقي
صُدِمَ أبيه من رَدَّةِ فِعلِ طِفلِهِ، وكاد يُعَنِفَهُ..
لكنه تماسك وقال له هكذا هي السيوف هنا،
كلها مثل هذا السيف .. مجرد ألعاب جميلة..

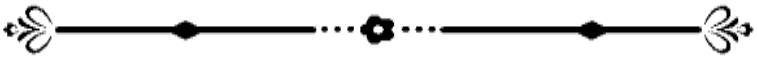

رد الطفل: لا لا ليس هذا السيف الذي أريد

لا أريد لعبة ألهو بها

أريد سيفاً أقاتل به اليهود الذين يحتلون فلسطين، وبه أقتل الذين قتلوا صديقي وعائلته

يجب أن أنتقم له .. لصديقي وعائلته

أريد سيفاً كـ "سيف القدس"

يقهر اليهود ويجعلهم يهربون إلى المخابئ خوفا وهلعا

سيفاً..

أهزم به اليهود المعتدين،

أحرر به القدس وفلسطين،

وبه أرفع الحصار عن غزة

أريد سيفا حقيقيا حاداً أضرب به الغزاة والطغاة والأشرار ولصوص الديار

أريد " سيف القدس"

عجب الاب لطفله أن يتكلم هكذا.. لقد رأى رجلا أمامه لا طفلا..

قال له.. ومن أين آتي لك بالسيف الذي تريد .. كل سيوف السوق مجرد ألعاب تسلينا..

الابن مستنكرا: كيف ..؟ بل توجد سيوف

ألم تسمع بـــ "سيف القدس" وكيف أثخن بالعدو وأوقع فيه الخسائر الكبيرة،

ألم تر كيف حبس اليهود في الملاجئ لأكثر من عشرة أيام، وكيف أغلق مطاراتهم وضرب قواعدهم ومصانعهم..

أريد مثل هذا السيف

سيف الفرسان الأحرار المؤمنين الواثقين بنصر الله

وحده هذا السيف يرد لنا شرفنا وكرامتنا وأرضنا المحتلة

ووحده يعطينا شكلنا الفلسطيني الأصيل

وبه نكون..

أريد سيفا كسيف القدس.. نعم..

أريد " سيف القدس"

.....

توقف الأب عن الكلام .. جمدته لحظةُ الاستشفاف المقدسة..

حيث اكتشف ابنه ورآه كما لم يره من قبل

تفاعلت معه الحروف، والمعاني، والمواقف، والذكريات، عادت إليه وكأنها شريط مصور لمحطات حياته السابقة، عندما كان في مثل سنه وعندما صار فتى ثم شاباً يافعا..

وتذكر الذي ما كان يجب أن ينساه أبداً..

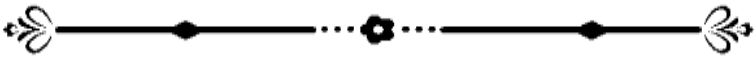

تذكر السيف البتار الذي ورثه عن أبيه،
وكان قد خبأه مع مسدسه وبعض الكتب بعيداً عن أعين جواسيس الأعداء، حتى كاد أن ينساه وأن ينسى مكانه،
والتفت منحنيا نحو ابنه بابتسامة ملأت وجهه:
"سيف القدس" الذي تريده عندنا،
هو هدية لك، حفظها جدك عندي أمانة لمثل هذه اللحظة"
هيا بنا لأعطيك إياه ؟
وهو من هذه اللحظة سيفك ..أنت..
وأنت الفارس الذي يضرب به رقاب الأعداء..

9/6/2021

****

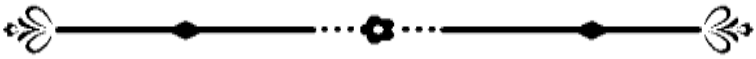

محتويات الكتاب

إهداء..... 5
مغامرة في شارع يافا..... 6
مواطن بسيط..... 12
شياطين وملائكة..... 22
الأضحية 29
ممنوع من السفر..... 38
لا تتعجلي ..أرجوك..... 43
الراتب 51
عجل العيد..... 58
شريان الحياة..... 62
المجاهدون..... 68
النقيب..... 74
خيانة صغيرة..... 81
مَلِكٌ لا ينام 87
حب كبير 97
سيف القدس..... 101
محتويات الكتاب 105

للتواصل مع الدار

التعاقدات

المعارض

الصفحة الرسمية

مسابقات

طلب إصدارات

الإعداد

التوزيع